

الثانية العشرة

لنيل المسرات الباقية

الإمام المجدد
السيد محمد ماضي أبو العزائم



Abul Azayem
www.abulazayem.com



النشأة الثانية

لنيل المسرات الباقية

الإمام المجدد

السيد محمد ماضي أبو العزائم

١٢٨٦ - ١٣٥٦ هجرية / ١٨٦٩ - ١٩٣٧ ميلادية

كتاب

النشأة الثانية

لنيل المسرات الباقية

بالقيد

حجة الاسلام والمسلمين العارف بالله

السيد قاضي العارف بالله

١٩١٥

الطبعة الاولى

حقوق الطبع محفوظة

ثمان النسخة ٥ قروش صاغ

احمد ماضي ابوعزم

مكتبة طبعة الدواوين

مطبعة الدواوين شارع الدواوين نمرة ٤٤

مقدمة

الحمد لله الذي منح من أحبهم شوقاً إلى العلم ومسارة إلى العمل به، وجعلهم أنجم هدى لأهل عصرهم، والصلاة والسلام على من قال: (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة) وآله وورثته.

وبعد فيقول خديم الفقراء محمد ماضى أبو العزائم: طلب منى أخى وحبیبى العامل المخلص لدينه ووطنه سعادة محمود باشا سليمان - أطال الله عمره ونفع به - أن أشرح له أحوال البرزخ وما بعده ليتمثله في كل أنفاسه؛ لأن الإيمان به المجرّد عن العلم بأحواله الخاصة لا يكفي في مراقبة ذلك اليوم وأهواله وشدائده، ولا يجعل الإنسان يعمل لنيل الخير فيه، فعلمت أن الله تعالى جعل سعادته سبباً لخير عام، فإن أكبر المسلمين الآن كادوا أن ينسوا ذلك اليوم، بدليل ما نراه منتشرًا بيننا من استغراق الوقت في العمل للدنيا وإهمال العمل للآخرة، ومن انتشار المحرمات كالخمر والزنا والغيبة والنميمة والعداوة بين الناس، وهجر المساجد وعمارة الملاهي، وإنفاق المال في وجوه الإسراف، وترك إخراج الزكاة من الكثيرين، وترك القيام بالحج، والجرأة على تلك الأعمال دليل على نسيان يوم القيامة.

لتلك الاعتبارات لبّيت دعوة صديقى وحبیبى، ورأيت من الواجب علىّ أن أجعل الجواب رسالة جامعة لتلك الحقائق، وأن أتم هذا المقصد العظيم ببيان الطريق الموصلة لنيل الخير يوم القيامة.

والله أسأل أن يمنحنا الإخلاص في العمل وقبول ما يوفقنا لعمله، وأن ينفعنا وينفع بنا، وأن يجعل هذه الرسالة نافعة لنا ولإخوتنا المؤمنين جميعاً، وسميتها "رسالة تفصيل النشأة الثانية".

إن الله تعالى أتى على الذين يؤمنون بالغيب فقال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ البقرة ٣،

إلى قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٥، فطالبنا أولاً بالتصديق لما جاء به رسول الله ﷺ، ثم أمرنا بمجاهدة أنفسنا لتزكو، فإذا زكت النفوس استعدت لتلقى العلم، بما يجعله الله في الإنسان من النور الذي به يعقل عن الله تعالى، ودليل ذلك أن الله تعالى حثنا على طلب العلم وعلى الفكر في الآيات المنبجعة في الكائنات بآيات لا تحصى.

والإيمان هو التصديق، والعلم هو تصور النفس رسوم المعلوم، وقد أثنى الله على العلماء وجعل العلم مزيد الإيمان قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ الزمر ٩، وقال: ﴿الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ﴾ الروم ٥٦.

ورسول الله ﷺ أعلم الأنبياء بالنفوس، فكان يبين للناس بقدر عقولهم، حتى أكمل الله لنا ديننا، فلعلم البرزخ وما بعده يجب أولاً التصديق بما جاءنا به رسول الله ﷺ من أحوال البرزخ والقيامة، ثم نجاهد أنفسنا في طلب العلم والعمل به حتى يجعل الله لنا نوراً نتصور به تلك الحقائق.



تقريب للعقول

العقول تستمد معلوماتها من الحواس، والحواس لا تدرك ما وراء الجدار فكيف تدرك الغيب المصون؟

ولكن العلماء الربانيين قربوا الحقائق للعقول بالأمثلة المحسوسة، والإنسان في بطن أمه بعد أن نفخت فيه الروح وصار يحس ويتحرك لو وهبت له قوة الإدراك، وأخبر عن الدنيا وأحوالها، هل كان يصدق بما في الدنيا من أرض وساء وهواء وبحار وأفلاك وحروب وخصومات؟

الجواب: لا يصدق، لأنه يرى من المستحيل وجود مكان غير ما هو فيه، ولكن إنكاره لتلك الحقائق لا يجعلها مفقودة، وتسليمه بها لا يجعله يستحضرها إلا إذا تمثلها. فكذلك الإنسان الواقف عند الحكم على الأشياء بحواسه لا يصدق بأن هناك داراً أخرى، وإن صدق بها من غير تصويرها لا يراقبها ولا يتذكرها، إذا فعذر المنكرين للآخرة سببه الجهل، أو إهمالهم في تحصيل العلم من العالم الذى يمكنه أن يبين تلك الحقيقة بأمثلة تقبلها العقول، وقد شهدنا دارين، الدار التى كنا فيها في بطن أمهاتنا، والدار التى نحن فيها الآن، ولكل دار أحكام تقتضيها، فما الذى يمنعنا من أن نفوز بالخير الذى لا نجاهة إلا به، وهو التصديق بيوم القيامة، والسعى لتلقى العلوم النافعة لنتصورها فنكون مؤمنين علماء، وبذلك نسعد في الدنيا والآخرة، فإن جهل يوم القيامة سبب في المفساد وخراب العالم، وكيف لا وتلك الحروب الطاحنة والخصومات القائمة والرذائل المنتشرة سببها نسيان يوم القيامة، ورجل يؤمن بيوم القيامة مجرد إيمان يستحيل عليه أن يميل إلى مفسدة أو رذيلة أو قبيح عمل، فكيف إذا حصل العلم بها فصارت معالم بين عينيه وصورة منقوشة على جوهر نفسه.

اللهم لا تنسنا ذكرك، ولا تنسنا يوم لقائك، لنحيا أحراراً في أوطاننا، عاملين لديننا ودينانا، فائزين بالسعادة يوم لقائك إنك مجيب الدعاء.



وجوب اعتقاد الإعادة

يجب أن نعتقد أن إعادة الجسم بعد الإعدام بجميع أجزائه الأصلية وعوارضه حق كما كان قبل الموت، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدُؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الروم ٢٧، وقال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف ٢٩، وآيات كثيرة وردت في الإعادة وهي حجة أهل الأيمان القوى ولكننا نسير مع العقل فنقول:

إن السماوات والأرض أنشأها الله تعالى لحكمة إيجاد الإنسان، لأنه سخر له ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، وصرفه في كل كائن، فالكائنات كلها لنفع الإنسان من الأفلاك والأماك والهواء والماء والأرض والمعادن.

وحكمة إيجاد الإنسان أن يكون عابداً لله، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، وأن يكون كل إنسان خليفة عن ربه فيما استرعاه من أهل وولد ومال وأتباع.

وكل إنسان خليفة بقدره، وإنا لنرى رجالاً أنفقوا أنفاسهم وأموالهم وأنفسهم في العمل لله، وعاشوا في عناء وبلاء ولم ينلهم من ثمرات أعمالهم نيلاً، ونرى آخرين بذلوا أنفاسهم وأموالهم وأنفسهم في معصية الله وضرر عباده والإفساد في الأرض، ولم يصبهم بلاء ولا شدة، ومقتضى العدل أن يجازى المحسن بالإحسان والمسيء بالإساءة؛ لذلك يجب أن يكون هناك دار أخرى يجازى فيها كل عامل بعمله، وإلا فهذا الإنسان الذي تحمل فادح الشدائد وعظيم البلايا لخير بنى الإنسان من الأنبياء والعلماء الربانيين إذا مات ولم تكن ثم دار أخرى، كان ذلك ظلماً وتنزه ربنا وتعالى عن الظلم، وذاك الإنسان الذي جحد ربه وحارب أنبياءه وأذى أوليائه وأضر عباده بسفك الدماء وخراب البلاد وظلم العباد، إذا مات ولم يعاقب على عمله، كان ذلك من الجهل والحماقة وتنزه ربنا وتعالى عن كل نقيصة فلزم أن يحكم العقل بحقيقة يوم القيامة لينال العامل بالإخلاص من المسرات والمليذات الروحانية والجسمانية، والبقاء في جوار الأطهار، والأنس بمجانسه من الأخيار مع النبيين والصدّيقين والشهداء، ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

وكذلك ليلقى ذلك الظالم الطاغى من شديد الآلام في نار العذاب أشد مما كان يعذب به عباد الله في الدنيا، بصواعق المقذوفات وأليم السجون، جزاءً وفاقاً.



البعث بالروح والجسد

قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ العاديات ٩ وقال تعالى: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ الحاقة ٢٤، وقال سبحانه: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ﴾ الإنسان ١٩، وكلنا نعلم أن الأرواح لا تأكل ولا تشرب ولا تتزوج، وتلك الآيات حجة على منكرى البعث، لأنهم ليسوا أهل أن نخاطبهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

الفرقان ٤٤.

ولكننا نخاطب من أثبت بعث الأرواح دون الأجساد، ونعلم أن الذى حدا بهم إلى هذا الحكم وقوفهم عند الحواس، ولأنهم يقولون: إذا أكل إنسان إنساناً بحيث صار المأكول جزءاً من الآكل فإذا أعاد الله تعالى هذين الإنسانين بعينها فتلك الأجزاء التى كانت للمأكول ثم صارت للآكل، إما أن تعاد فى كل واحد منها وهو محال لاستحالة أن يكون جزء واحد بعينه فى آن واحد فى شخصين متباينين، أو يعاد فى أحدهما وحده، فلا يكون الآخر معاداً بعينه والمقرر خلافه، وهذا مذهب الفلاسفة.

وقد تسرب هذا المذهب إلى بعض من لم تزك نفوسهم تزكية تجعل النفس تسوح سياحة ملكوتية، فتقتبس من مجانسة عالم الطهر أسرار الجنة وما فيها من نعيم الجسم ومسرته، وبهجة النفوس وملاذها، وما فى النار من عذاب يذيب الأشباح وحجاب يحزن الأرواح، حتى ترجع إلى هذا الجسم فتمثل له ما هناك تمثيلاً يجعله يطيعها فيما تطلبه منه.

والحقيقة أن الجسم يعاد كما كان فى تلك الدار الدنيا، وإلى العقل بيان: كل نوع من الأنواع تتسلط عليه المؤثرات الكونية كالذهب بالنسبة للمعادن فإن النار وغيرها من المؤثرات لا تنقصه شيئاً ولا تغير من كماله الذى بلغه، ألقى فى الأرض السبخة أعواماً ما

تغير، بخلاف بقية المعادن فإنها تتنوع إلى غيرها فتكون تراباً، أو ينقلب النحاس إلى توتيا خضراء، فكذلك الإنسان هو أكمل الأنواع الموجودة، ولكماله النوعى لا تؤثر عليه المؤثرات الكونية، فلا يتغذى النبات بشئ من حقائقه الأصلية، ولا تهضمه تلك الحقائق فى معدة حيوان، فلو اندثرت المقابر وصارت أرضها مزرعة تتغذى النباتات بالفضلات الزائدة على الحقائق، وتحفظ أجزاء الحقائق فى الأرض كما تحفظ أجزاء الذهب.

وإذا أكل الإنسان أو الحيوان إنساناً فإن الذى يتغذى به هو المواد الغريبة والفضلات الزائدة على الحقائق، وتلك المواد الغريبة والفضلات الزائدة ليست هى الإنسان، وإنما هى لتعويض ما فقد منها بالعمل حفظاً للحقيقة الإنسانية.

إذاً فكل الحقائق التى هى العظام والأوردة والشرايين والأعضاء الرئيسية كالقلب والرئتين والكبد والطحال والكليتين والمعدة والمعى وحقيقة العينين والأذنين واللسان وغيرها، مما يكون به الهيكل الإنسانى هيكلاً مجرداً عن الحياة لا سلطان عليه للأرض ولا لما عليها. وسأبين كيفية الإعادة فى موضعها إن شاء الله تعالى.

إذا تقرر ذلك فالجسم يعاد يوم القيامة كما كان فى الدنيا مع روحه، والقول بأن الروح هى التى تعاد باطل، وإن فهم ذلك بعض من لم يعقل عن الله ولا عن رسوله من النصارى الذين يظنون أن سيدنا عيسى يقول بإعادة الأرواح، فإن هؤلاء القوم ما فهموا شيئاً من كلام سيدنا عيسى ﷺ.

ومن أنكر البعث وهو أمر معلوم من الدين بالضرورة ارتد عن الإسلام، ومن أنكر بعث الأشباح، جهل صريح الدين.

قال سيدنا على ﷺ: (فإنكم لو عاينتم ما قد عاين من مات قبلكم لجزعتم ووهلتم وسمعتهم وأطعتم، ولكن محبوب عنكم ما قد عاينوا وقريب ما يطرح الحجاب. ولقد بُصرتهم إن أبصرتهم، وأسَمعتهم إن سمعتهم، وهديتهم إن اهتديتكم، بحق أقول لكم: لقد جاهرتكم العبر، وزجرتهم بما فيه مزدجر، وما يبلغ عن الله بعد رسل السماء إلا البشر، فإن الغاية أمامكم، وإن

وراءكم الساعة تحذوكم، تخففوا تلحقوا فإننا تنتظر بأولكم آخركم).

وقال ﷺ يخاطب أهل القبور: (يا أهل الديار الموحشة والمحال المقفرة والقبور المظلمة، يا أهل التربة، يا أهل الغربة، يا أهل الوحشة أنتم لنا فرط سابق ونحن لكم تبع لاحق أما الدور فقد سكنت وأما الأزواج فقد نكحت وأما الأموال فقد قسمت هذا خبر ما عندنا فما خبر ما عندكم) ثم التفت إلى أصحابه فقال: أما لو أذن لهم في الكلام لأخبروكم أن خير الزاد التقوى).

* * *

بيان لمنكرى إعادة الأشباح

الحمد لله، كلنا صدقنا رسول الله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله جل جلاله إيماناً بالغيب، ولكن الله سبحانه تفضل فأسجد العقل لما بينه من الحججة القائمة على البعث والنعيم المقيم، وعلى الحساب والعفو، أو العذاب الأليم، بما أظهره للحس من إحياء الأرض بعد موتها، وإجراء الأنهار بعد جفافها وإنزال الأمطار بعد إمساكها ومن خلق أنواع الحيوانات الحية في الماء الآسن والمواد المتعفنة من غير موجب تراه العيون أو تحكم به العقول، فسبحان من يقول للشئ كن فيكون.

كرر سبحانه في كتابه العزيز آيات التمثيل مبيناً إحياءها بالماء، كما قال سبحانه: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأُنْبِتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥١﴾﴾ الحج ٥-٦.

وقف أهل الإنكار من الجاحدين عند الحس، فظنوا أن النشأة الأخرى كالنشأة الأولى تقتضى وطأ وإمناء في رحم وولادة، ورأوا ذلك مستحيلاً، والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواقعة ٦١، بل نسوا خلق آدم ﷺ.

هنا يجب أن نعتقد أن العناية لها الحكم الذي لا ينقض، قال سبحانه: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ

أَمْهَتَدِ وَمَنْ يُضَلِّلْ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا ﴿ الكهف ١٧ ﴾، فمن سبقت لهم الحسنى منحهم الله عقولاً تعقل عنه، وقلوباً تطمئن بذكره، ونفوساً تسكن إليه جل جلاله، ومن سبقت لهم السوآى أخبرنا الله عنهم بما شنع به عليهم بقوله: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿ الأعراف ١٩٧ ﴾، فمنحهم العطية وحرّمهم خيرها، كما منح الله للمسلمين الملك العظيم باتّباع الدين، فأضاعوه بمخالفتهم إياه وحرّموا نفعه، فتسلط عليهم الإفرنج، منحنا الله ما كان لسلفنا الصالح من التمكين فى الأرض بالمحافظة على أحكام الدين، والغيرة له على أعدائه.

وزعم من منحهم الله موهبة العقول فلم يعقلوا بها عن الله واستعملوها فى عاجل حظهم أن تعلق الأرواح اللطيفة بالتراب الكلسى الغليظ الجافى مستبعد مستحيل للتنافر بينهما، وإن قدر ذلك فلا يتصور إلا بعد أن ينقلب التراب نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم ينتهى إلى التسوية، وقالوا لنا: إنكم تدعون أن الرفات والتراب يحيا بالروح ذلك رجع بعيد، وهؤلاء هم ومنكروا البعث سواء؛ لأن منكروى البعث حكموا على الله تعالى بما يحكمون به على أنفسهم من العجز عن إيجاد شئ لم يكن.

ومنكروا ببعث الأشباح حكموا على الله بالعجز عن إعادة الأشباح، وكفى بذلك كفراً؛ لأنه إنكار لقدرة الله وشك فى خبره سبحانه وتعالى.

وكان الأولى إهمال الفئتين، لولا الخوف على من لم يحصل الضرورى من علوم الدين، فأقول لهم: ليست قدرة الله كقدرة الخلق، وقد أثبتنا أن الإنسان فيه روح، وأول إنسان مخلوق من التراب وليس له مثال سبق ولا مادة محفوظة فى كنوز الأرض، فالذى نفخ الروح فى هيكلمكون من تراب وماء وهواء ونار ومزاج بينها وأحكم تناسبها وربط بينهما، والذى جعل الماء علقة، ثم جعل العلقة مضغة، فجعل المضغة عظاماً، فكسا العظام لحماً فنفخ فيه الروح، ثم أخرجها خلقاً آخر، قادر على أن يعيد الأجسام بما شاء وكيف شاء.

إعادة الأَشباح والأرواح حق ثابت

اقتضت إرادة الله تعالى أن يجعل الأسباب مرتبطة بعضها ببعض، وهو القادر أن يقول للشئ كن فيكون، ولكنه سبحانه وتعالى أراد أن يظهر للعقول بما أبدعه من بدائع صنعته، وما ألاحه سبحانه من عجائب حكمته وغرائب قدرته، فأظهر ما قدره أولاً، منتقلاً في أطوار اقتضتها الحكمة لتقوم المحجة على العقول وتظهر المحجة للنفوس، فلم يشأ سبحانه أن يعجز العقول، ولا أن يحير الأرواح إلا في جلاله وعظمته.

خلق السماوات والأرض وما بينهما وما فوقهما في ستة أيام، وخلق آدم من طين ثم سواه ونفخ فيه من روحه، لتعلم العقول أن القادر على هذا قادر أن يعيد الإنسان مرة أخرى كما بدأه، وليس وجه الشبه مطابقة الإعادة للبدء في كل تلك الأطوار، فإن الحياة الثانية تعود بغير ما بدئت به من الأسباب واللوازم، ووجه الشبه محصور في معنى إعادة الحياة للإنسان مرة ثانية كاملة كما كان عليه في الحياة الأولى، بما لا يعلم كيفية ذلك إلا من علمهم الله تعالى، والعقل يحكم أن الذى خلق إنساناً من الطين، وجعل نسله من سلالة من ماء مهين، قادر على أن يعيده بما شاء وكيف شاء، قال سبحانه: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواقعة ٦١، وقال تعالى: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف ٢٩، وقال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ الواقعة ٦٢، بالمعينة، والذى أنشأنا النشأة الأولى هو الذى ينشئنا النشأة الأخرى، ونحن للآن نحكم بحقائق فينا بما نراه من أعمالها ونجهلها، كالعقل والنفوس، وبأشياء حولنا نحكم بوجودها حتماً لأعمالها كإبليس والجن والكهرباء والضوء وغيرها.

كيفية البعث

أبين تلك الحقيقة بالنقل الذى قبله العقل السليم من الهوى والحظ، وهنا أشرح لإخوتى المؤمنين كيفية النشأة الأولى بما ورد.

قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في كيفية خلق آدم بعد حديث طويل في وصف خلق السماوات

والأرض (ثم جمع سبحانه من حزن (ما غلظ من الأرض) الأرض وسهلها وعذبها وسبخها، تربه
سناها (سن الماء والتراب: صبه برفق) بالماء حتى خلصت، ولاطها بالبلبة لزبت، فجعل منها صورة ذات
أحناء ووصول، وأعضاء وفصول (الفصل من الجسد: كل ملتقا عظيمين)، أجمدها حتى استحكمت، وأصلدها
(أصلدت الأرض: صليت، والصلد: الصلب الاملس) حتى صلصلت (الصلصال: الطين اليابس الذى يصل من يبسه أى يصب) لوقت معدود
وأمد معلوم، ثم نفخ فيها من روحه فمثلت إنساناً ذا أذهان يجيلها (أجال الشئ: أداره)، وفكر
يتصرف بها، وجوارح يخدمها، وأدوات يقلبها، ومعرفة يفرق بها بين الحق والباطل، والأذواق
والمشام، والألوان والأجناس، معجوناً بطينة الألوان المختلفة، والأشباه المؤتلفة، والأضداد
المتعادية، والأخلاق المتباينة من الحر والبرد والبله والجمود. واستأدى الله سبحانه الملائكة
وديعته لديهم، وعهد بوصيته إليهم فى الإذعان بالسجود له والخشوع لكرمه).

وقال كرم الله وجهه فى صفة خلق بنى الإنسان: (أم هذا الذى أنشأه فى ظلمات الأرحام،
وشغف (الشغف: غلاف القلب) الأستار، نطفة دهاقاً (دهاق من الكئوس: الممتلئة وتفسيرها يشير إلى امتلائها بجراثيم الحياة) وعلقة
(المعلقة المحاق: خفى فيها ومحق كل شكل وصورة) محاقاً وجنيناً وراضعاً، ووليداً ويافعاً، ثم منحه قلباً حافظاً،
ولساناً لافظاً، ليفهم معتبراً، ويقصر مزدجرأً، حتى إذا قام اعتداله، واستوى مثاله، نفر
مستكبراً، وخبط سادراً (خبط الليل: سار فيه على غير هدى، السادر: المتحير)، مائحاً (منح الماء: نزع، ومنح الدلو: استخرجها فهو مانح،
الغرب: الولد العظيمة، والمعنى: أى يستقى من هواه) فى غرب هواه كادحاً، سعيأً لدنياه فى لذات طربه... إلى أن
قال بعد أن وصف مداهمة المنية للإنسان وهو فى غفلته: ثم أدرج فى أكفانه مبلساً، وجذب
منقاداً سلساً، ثم ألقى على الأعواد رجيع (المهجع من الابل: الكايل الذى رجعوا به من سفر ثم ازعجوه إلى سفر اخر فكل)
وصب (الوصب: التعب) ونضو (النضو: الذى أصابه الهزال) سقم، تحمله حفدة الوالدان وحشدة الأخوان إلى
دار غربته، ومنقطع زروته، حتى إذا انصرف المشيع، ورجع المتفجع، أقعد فى حفرته نجياً
(النجى: الذى تحدته سراً) لبهته (بهته السؤال: حيرته) السؤال، وعشرة الامتحان...)



الإعادة ليوم الجزاء

انكشفت حقيقة النشأة الأولى، فخلق الله إنساناً من غير نوعه، وخلق حواء من رجل

ولا أم لها، وخلق إنساناً من نوعه بالوطء والحمل والولادة، وخلق إنساناً من امرأة بدون وطء وهو عيسى عَلَيْهِ السَّلَام وخلق إنساناً من رجل وامرأة بلغا من السن مبلغ اليأس من الحمل والولادة وهو يحيى عَلَيْهِ السَّلَام وأحيا الأرض بالماء بعد موتها، فالقادر أن يخلق هذه الأنواع قادر أن ينشئ النشأة الأخرى.

كيفية تلك النشأة بما ورد في القرآن والأحاديث

نيسط بالعبارة الحقائق التي وردت في القرآن والحديث، ثم نقيم الحجة بالقرآن والحديث. إذا انتهت دورة الحياة الدنيا، وظهرت أشراط الساعة من طلوع الشمس من مغربها، وظهور الدابة، وكثرة الخسف والزلازل، وفقد الأمانة من القلوب، وإيثار الإنسان نفسه على والديه وأولاده، وسبق ذلك الهرج والمرج (الحرب والقتل)، وانتشار العهارة، وغيرها من الخمر والربا والميسر، والمخدرات المهلكة للإنسان كالأفيون والبنج بأنواعه، وأصبح النساء قوامات على الرجال يزاحمن الرجال في الأسواق، ويأمرن فيطيعهن الرجال، وابتلى العلماء بالحسد والتجار بالخيانة، والنساء بالكيد، والحكام بالظلم، وأسند الأمر إلى غير أهله، وأصبح الشح مطاعاً والهوى متبعاً، وعمل بالرأى، وصار التقى مهاناً والفاجر معظماً، وأهملت حدود الله، وسلبت الغيرة على الدين والعرض والشرف، لديها تتوالى البليات، ويسلط الله أعداءه على من تعدوا حدوده، ويعم الظلم، لديها تمسك السماء أمطارها، والأرض نباتها، وتعم الفتن وتهجر المساجد فلا ترى راعياً ولا ساجداً، فتحصل الأهوال العظام بالبلاد والعباد، فتشغل الناس بالعناء والشدائد وكثرة الموت، حتى لا يبقى على وجه الأرض إنسان.

وينفخ إسرافيل في الصور - وهو محل الأرواح - فتصعق الأرواح وتفقد الحياة الروحانية، ولم يبق إلا الحى القيوم، فيقول تنزهه وتعالى: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦، إظهاراً لعظمته وتفريده بالقوة والقدرة، ثم يجيب نفسه بنفسه: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر ١٦.

فإذا شاء سبحانه أن يعيد النشأة الأخرى، أمر السماء أن تمطر ماء كمنى الرجال أربعين سنة، حتى تذوب فتصير كالعجينة، فيأمر سبحانه وتعالى أربع رياح عاصفة تعتمق الأرض

من جهاتها الأربع فترجها رجاً رجاً، وتدكها دكاً دكاً، حتى تصير الجبال كثيباً مهيلاً، وتقوى صدمات الرياح فتجعل الجبال هباء منثوراً، وهى ما نعرفه صلابة وقوة فكيف بالأرض؟!!

ويوجد سبحانه فى كل ذرة من ذرات الهيكل الإنسانى قوة جاذبية تجمعها ببعضها لشدة رج الأرض ودكها، حتى إذ تكونت الأجساد وصارت الأمم أطواراً طبقة فوق طبقة، أسكن الرياح سبحانه وأعادها إلى مهابها، ثم أمر بالنفخة الثالثة فتفريق الأرواح من صعقها وتهب كالجراد المنتشر، كل روح تسارع إلى بيتها الذى سكنت فيه فى حياتها الدنيا وهو جسمها، وهذه كيفية النشأة الأخرى وهى أشبه بالنشأة الأولى لآدم، وليست كالنشأة الأولى لأبنائه التى تحتاج إلى إمناء وحمل ووضع ورضاع، فإن لكل نشأة أسباباً وضعها سبحانه.

أدلة كيفية البعث من النقل

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الروم ٢٧، بدأه سبحانه وتعالى على غير مثال سبق بإمناء فى الرحم وحمل ووضع ورضاع، ويعيده سبحانه كما كان فى الدنيا كاملاً بقدرة وحكمة وأسباب مرتبطة بتغاير النشأة الأولى - كما بينا - فلا يحتاج لإمناء وحمل ووضع ورضاع، كما خلق آدم ﷺ، وإنا لئرى النواة الصغيرة يخلق الله منها نخلة تفتح الأجواء بطولها، فأين كانت تلك النخلة؟! أكانت فى النواة؟! أم كانت فى الأرض والأجواء والسماء؟!!

إن لم تذق ظهور الآيات فى الكائنات فسلم، ومن حرم الذوق والتسليم فليمت على أى دين شاء، فإن الله غنى عن العالمين.

وقال سبحانه: ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ الأعراف ٢٩، أثبت بهذه الآية الإعادة بعجائب القدرة وغرائب الحكمة بحالة جديدة تغاير من كل وجه أحوال النشأة الأولى، لينبج للعقول وللأرواح ما يعجزهما عن إدراك تصريف القدرة.

فالنشأة الأولى علمناها كما قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى﴾ الواقعة ٦٢، ثم قال سبحانه: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواقعة ٦١، أى من كيفية الإنشاء والمكان والزمان والحال

والشأن، فسبحان من لا يعجزه شئ. فالآية لإثبات الإعادة فقط، لا لبيان أن النشأة الأخرى تطابق النشأة الأولى من كل وجه لعجز العقل عن التسليم بها.

وكيف يتصور العقل أن كل فرد لا يوجد إلا بوجود أسباب إيجاده الأولى من إمناء وحمل ووضع ورضاع، ولكن الله جل جلاله أراد أن يبين لنا أن النشأة الأخرى والدار الآخرة تغاير كل المغايرة النشأة الأولى والدار الدنيا، ليقف العقل حائراً في آثار القدرة وآيات الحكمة ويقول بلسان اليقين (سبحان من لا يعلم قدره غيره، ولا يبلغ الواصفون صفته).

فالنشأة الأولى حق والنشأة الأخرى حق، ولكنها مختلفتان لوسعة القدرة وإحاطة الحكمة، وما على العقل الكامل إلا أن يقول: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران ٧، بعد أن قامت الحجة ووضحت المحجة، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ النور ٤٠، وقال تعالى: ﴿إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ﴾ العاديات ٩، أخبرنا سبحانه أن ما في القبور يبعثر والبعثرة معلومة وتقدم أن السماء تمطر منياً كمنى الرجال أربعين سنة فيذوب هذا المبعثر، وتتجاذب أجزاء كل هيكل برج الأرض ودكها بعواصف الرياح كما تقدم، ولا تكون تلك البعثرة إلا لإعادة الأجسام كما كانت، وتنزه ربنا أن يعمل عملاً عبثاً.

وما تتجمل به الأشباح في دار النعيم من النضرة والجمال والبساطة في الجسم، فذلك من أنواع النعيم الذي يتفضل الله به على أحبائه، وما يحصل للأجسام في النار من الضخامة والغلظة فذلك من كمال العدل، حتى تنال الأجساد قسطها من الجزاء.

وقال تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ الزلزلة ٢، إنما يثقل على الأجسام ما لم يكن منها، فالجسم لا يثقل على نفسه ولكن يثقل عليه ما حمله، والأرض لم تحمل غريباً عنها إلا الإنسان والحيوان، وإن كان منها، إلا أنه نوع آخر بعد تطوره فهو الثقيل عليها، والمعنى أن الله تعالى يخرج الموتى أحياء كما كانوا بالبيان الذي بيناه لك من قبل، وأنت تعلم أنه سبحانه قال: ﴿وَنُنشِئُكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ الواقعة ٦٢، بعد قوله: ﴿وَلَقَدْ عَلَّمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴾ الواقعة ٦٢، فعلمنا النشأة الأولى أنها بالحمل والوضع والرضاع، وأخفى عنا علم النشأة الأخرى، ولكن أهل المحبة تنكشف لهم تلك الحقائق، وقد بينت لك كيفية رج

الأرض رجاً وبث الجبال بثاً، وصيرورتها هباءً منبثاً بعد إنزال الأمطار من السماء التي كمنى الرجال، واعتقام الرياح لجهات الأرض الأربع، حتى تتبدل الأرض غير الأرض، كما قال الله تعالى ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ إبراهيم ٤٨، وقد فسر العلماء هذه الآية بأن الأرض تكون فضة بيضاء، والمعنى والله أعلم أن الأرض التي تنجست بمعاصي الخلق وذنوبهم تبدل بأرض طاهرة لم يعص الله عليها، ومعنى أنها من فضة: نقاؤها من نجاسات المعصية، ومن أن يعصى الله عليها، إذ ليس لمن يقوم من القبر حياً معصية؛ لأن شأن البعث والنشر أعظم شاغل عن النزوع إلى داوى المعصية.

أقسام الناس يوم القيامة

والناس فى هذا الوقت أربعة أقسام:

١ قسم يخرجون من القبور لهم أجنحة يطرون بها إلى مسرات الحياة الثانية. ومنهم من يركب النجب النورانية. ومنهم من تؤمهم الملائكة إلى الفردوس. وهؤلاء لا يمرون على الصراط ولا يرون الميزان، ولا يحزنهم الفرع الأكبر، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠٠﴾ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ﴿١٠١﴾ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَرَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِى كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ الأنبياء ١٠١-١٠٣، وهؤلاء المقربون والأبرار وأهل اليمين، وردوا النار فى الدنيا وساروا على الصراط فيها، والنار التى وردوها فى مجاهدة أنفسهم فى ذات الله، والصراط الذى اجتازوه هو السير على شريعة النبى ﷺ بكمال اتباعه، والحساب الذى أنجاهم الله منه، هو مراقبة الله تعالى فى كل عمل، قال الله تعالى فى الحديث القدسى: (وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى أمنين، ولا أجمع له أبداً خوفين، فإن هو خافنى فى الدنيا أمنى يوم أجمع فيه عبادى عندى فى حظيرة القدس، فيدوم له أمنه، وإن هو أمنى فى الدنيا خافنى يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم، فيدوم له خوفه).

٢ الفرقة الثانية: لا يقام لهم ميزان ولا ينصب لهم صراط، وهم الذين قال الله عنهم: ﴿فَلَا نَقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ الكهف آية ١٠٥، لأنهم كفروا بالله أو ماتوا على النفاق.

٣ الفرقة الثالثة والرابعة: وهم الذين يحاسبون، فمنهم من يحاسب حساباً يسيراً كما قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَبِئْمِينِهِ﴾ ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ وَيَنْقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿الأنشقاق ٧-٩﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَخْرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَىٰ اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ ﴿التوبة ١٠٢﴾، وهم الذين مدحهم الله بقوله: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ﴿آل عمران ١٣٥﴾، وهم عامة أهل اليمين والحقيقة أن العصمة لم تثبت إلا لرسول الله ﷺ، والله تعالى أخبرنا أنه يجب التواين ويجب المتطهرين.

أسأله أن يمنحنا دوام التوبة، ويهب لنا قوة يطهرنا بها من كل خاطر أو وارد يحجبنا عنه سبحانه وتعالى.

والتوبة هي الرجوع من المعاصي إلى الطاعات، والتطهير هو مجاهدة النفس لتزكو من فطرها ونزوعها إلى الغفلة والنسيان لتدوم لها المراقبة.

٤ والقسم الرابع: هم الذين يحاسبون حساباً شديداً، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ﴾ ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿إِنَّهُ وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ﴿بَلَىٰ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿الأنشقاق ١٠-١٥﴾، فأخذ الكتاب من وراء ظهره إنما هو بشماله؛ لأن يده اليمنى مغلولة في عنقه، وشماله ملتوية وراء ظهره فيأخذ كتابه بشماله بدليل قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ فيقول يَلَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابَهُ ﴿وَلَمْ أَدْرِمَا حِسَابِي﴾ ﴿يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ ﴿مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِي﴾ ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةٌ﴾ ﴿خَذُوهُ فَعُوهُ﴾ ﴿ثُمَّ الْجَحِيمِ صَلْوُهُ﴾ ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ ﴿وَلَا يَحْضُ عَلَىٰ طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾ ﴿فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ﴾ ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ ﴿لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ﴾ ﴿الحاقة ٢٥-٣٧﴾، وأما قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا﴾ ﴿الأنشقاق ١١﴾، أي ينادى بالويل والنبور لما حل به من الهلاك ومن اليأس من النجاة، وقوله ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ ﴿الأنشقاق ١٢﴾، أي يهوى في السعير، وفي رواية بضم الياء، أي تقذفه الملائكة في السعير، وقوله تعالى ﴿إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا﴾ ﴿إِنَّهُ وَظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ ﴿بَلَىٰ إِنْ رَبُّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا﴾ ﴿الأنشقاق ١٣-١٥﴾، هذا خبر من الله

تعالى عما كان عليه المتساهلون بالدين من نسيان يوم القيامة والإقدام على نيل حظوظهم وشهواتهم، والمصارعة إلى جمع المال من حل وحرام، وحب الانتقام من عباد الله تعالى، ومن ظلم الخلق والسرور باقتراف تلك الخطايا وعلمه أنه لا يبعث، إذ معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ زَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ﴾ الإنشاق ١٤، أى ظن أن لن يرجع إلى الله تعالى.

ونسيان يوم القيامة موجب لأليم العذاب يوم القيامة بدليل قوله: ﴿وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ الجاثية ٣٠، فكيف بمن ظن أنه لن يرجع إلى الله تعالى؟! هذا الظن موجب للخلود في نار جهنم؛ لأنه إنكار لشئ معلوم من الدين بالضرورة، وذلك كفر أعادنا الله منه.

أما قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ﴾ الإنشاق ١٤، فتكذيب للظالم وردع له وزجر، وإثبات لرجوعه إلى الله وانقلابه إلى يوم الحساب، فتقرر أن الناس يوم القيامة منهم المقربون وهم الذين أنجاهم الله وينجى بشفاعتهم يوم القيامة من شاء. وخاصة الأبرار من أهل اليمين وهم الذين أنجاهم الله تعالى، وعامة أهل اليمين: وهم الذين يحاسبون حساباً يسيراً. وأهل الكفر بالله وهم الذين يسحبون على وجوههم في النار من غير حساب، وعامة أهل الإيمان وهم الذين يحاسبون ويظهرون في جهنم ويخرجهم الله تعالى بفضله ورحمته بعد نفاذ القضاء فيهم، فمنهم من يخرج بشفاعة الشافعين؛ لأن الذين أقامهم الله شفعاء ينفعون عندما تنفع الشفاعة ويشفعون فيمن تنفعهم بإلهام يجعله الله في قلوبهم.

الفتن قبل القيامة

عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (يكون بين يدي الساعة فتن كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمناً ويمسى كافراً، ويمسى مؤمناً ويصبح كافراً، ويبيع أقوام دينهم بعرض من الدنيا) أخرجه الترمذى.

وقد أظلتنا سحب تلك الفتنة حفظنا الله منها، وبادرتها الشح المطاع والهوى المتبع والإعجاب بالرأى حيث يكون الحكم لغير الله، فيحكم الشحيح على ماله بشحه، ويحكم ذو

الهوى بهواه، ويحكم ذو الرأي برأيه. أعاذنا الله من تلك الفتنة، ثم تعم فتكون العادة سنة، والسنة بدعة منكرة، ويدعى قوم محبة الله وهم كاذبون، لأن المحبة عندهم هي الطمع في أموال الناس، والشهرة الكاذبة، ومن جهل نفسه جهل ربه، ومن جهل ربه لن يحبه، وإنما هي الأطماع ومتاع الدنيا القليل. حفظنا الله من تلك الأهواء المهلكة، وقبضنا إليه غير مفتونين.

ظهور الدجالين والكذابين

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى يُبعث دجالون كذابون قريباً من ثلاثين، كلهم يزعم أنه رسول الله) أخرجه أبو داود والترمذي، وتلك الفتنة قد شهدناها بأعيننا، ففي الهند رجل يسمى غلام أحمد ادعى أنه المسيح، وفسر القرآن بهواه، فجعل الإنجليز في الهند هم أولو الأمر تجب طاعتهم، وقام ابنه ومعه دعاة إلى هذا الفساد، وقد رأيتهم بمصر مع دعواته، فتذكرت هذا الحديث الشريف. وقام رجل في كردفان من أعمال السودان يدعى أنه عيسى، بعد موت محمد أحمد السوداني الذي كان يدعى أنه المهدي المنتظر. ولكن الإنجليز في السودان لما علموا أنه يبغض السودانين فيهم باغته فإطفا الله نار الفتنة، طهر الله البلاد من سلطة الأعداء وقتن الممرورين. وقد انتشرت تلك الفتن الآن علامة على قرب القيامة، فعلى كل مسلم أن يتمسك بالدين، ولو كان في تمسكه ما لا قبل له به من المتاعب في هذا الزمن المظلم.

طلوع الشمس من مغربها

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون حين لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً) أخرجه الشيخان وأبو داود.

يجب التسليم لهذا الحديث الشريف واعتقاد أن الشمس تطلع من مغربها؛ لأن الذي أطلعها من مشرقها قادر على أن يطلعها من مغربها، وهي أكبر آية تدل على قرب الساعة،

وأن علامة طلوع الشمس من مغربها قد غشيت الناس، فإن الشرق منبت رسل الله، ومهبط وحيه، وكعبة العلوم والفنون والصناعات لأهل الغرب وغيرهم وقد اندثرت منه تلك الآثار، وخفيت تلك الأنوار، وأصبح الغرب كعبة المغرورين، ومبعث ظلمات الأباطيل والمفاسد، انتشرت رذائله فصارت فضائل عند الشرقيين، وضلالاته فصارت هدى لديهم، وأصبح الشرق عالة على الغرب، نسأل الله الحفظ من الفتن المضلة، وأن يقبضنا إليه غير مفتونين.

خصال أنزلت البلاء في الأمة

وعن عليٍّ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا فعلت أمتي خمس عشر خصلة حل بها البلاء، قيل: وما هي يا رسول الله؟ قال: إذا كان المعنم دولاً، والأمانة مغنماً، والزكاة مغرمًا، وأطاع الرجل زوجته وعق أمه، وبر صديقه وجفا أباه، وارتفعت الأصوات في المساجد، وكان زعيم القوم أزدلهم، وأكرم الرجل مخافة شره، وشرب الخمر ولبس الحرير، واتخذت القينات والمعازف، ولعن آخر هذه الأمة أولها، فليرتقبوا عند ذلك ريحاً حمراء وخسفاً، أو مسخاً وقذفاً) أخرجه الترمذى.

هذا الحديث معجزة لرسول الله ﷺ فإن الحروب الطاحنة الآن لتقوية الدول لا لإعلاء كلمة الله، وصار أوصياء الأيتام والموثوق بهم من الأمة يعملون للاستئثار بالأموال، وأصبح الأغنياء ينفق الرجل منهم عشرات الألوف في السفر لأوروبا، وفي عمل الولائم لأهل السلطة من الكفار وغيرهم، ويكره أن يخرج جزء من أربعين من ماله للفقراء فرضه الله عليه، ويرى ذلك مغرمًا، نسياناً ليوم القيامة. والزكاة مطهرة للمال يدفع الله بها البليات والمصائب والأمراض وشروخ الخلق عن المزكى، وقد يدفع الغنى كثيراً من ماله في الخصومات، وفي علاج الأمراض، وفي الفخر والرياء، ويبخل بجزء من أربعين لله.

إطاعة الزوجات وخروج المرأة

أما إطاعة الزوجات فقد صار ديناً يدان به، فقد أصبحت المرأة قوامة على الرجل

تتصرف في بيته وماله بل وفي نفسه كيف تشاء. فقد علمت أن المرأة تخرج إلى حوانيت التجار الإفرنج، ويقف الإفرنجي فيلبسها النعلين بيده، والأساور والأردية، ويزرر على صدرها وبطنها الأزرة بيده، ويصلح الثوب بيده على جسمها، وزوجها واقف معها ولا يحس بحرارة الغيرة لعرضه، وتخرج المرأة من بيتها إلى أماكن اللهو واللعب والرقص والتمثيل المخجل، وتجلس مع رجل آخر تغازله ويغازلها على مرأى من زوجها، وقد يكون زوجها في البيت وهي في زيارة الملاهي.

وبلغنى أن المرأة تركب على عربة زوجها، وتخرج مع سائق العربة إلى حيث تحب من الخلوات، والسائق لا يجهد أحد أخلاقه.

وكثيراً ما رأيت النساء متزينات بأجمل الزينة يترددن على أضرحة الأولياء مختلطات بالرجال، والله تعالى يقول: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ﴾ النور ٣١.

انتشار العهارة

ولا تعجب فإنك ترى ما هو أسوأ من ذلك، ترى الفتاة الجميلة تأبى العفاف والصون، فتعرض نفسها على طبيب الحكومة وتأخذ منه رخصة بمزاولة العهارة، وتلك الرخصة شهادة من الطبيب أنها سليمة من الأمراض المعدية، وفي ذلك ما فيه من هدم الفضائل وإباحة الرذائل، أعاذنا الله من فتن هذا الزمان وقد انتشرت تلك البلوى حتى أصبح في القرى بيوت مشهورة للعاهرات يؤمها كل فاسق، لا يصدده سوط الحكومة ولا صوت الواعظ، ولا مخافة يوم القيامة، وما سمعت في التاريخ مثل هذا العمل ولا في زمان الجاهلية فإن العهارة في زمان الجاهلية كانت خاصة لقوم مخصوصين، وكانت المرأة إذا وضعت ألصقت طفلها برجل يحكم به العرافون، وأسوأ من هذا أن الرجل يرى أخته أو ابنته في العهارة، ويمشى بين الناس مرفوع الرأس لا يحس بوصمة هذا العار.

كل ذلك سببه احتلال الأعداء، وسبب احتلال الأعداء مخالفة وصايا رسول الله ﷺ

وترك العمل بالدين، وكم من مطيع زوجته وعاق لأمه فترى الرجل يبذل ماله على زوجته وأقاربه وهو يسئ لأمه ويهجرها، ويبخل أن ينفق عليها إلا بقوة الحكومة والقضايا.

وأسوأ من هذا أنك ترى الرجل يبذل ماله ونفسه لأشكاله من الأصدقاء ويؤذى والده، وقد انتشر هذا البلاء في هذا العصر، فترى المحاكم مفعمة بالأقارب.

المقصود برفع الصوت في المسجد

أما رفع الصوت في المساجد فقد تحقق الآن، وليس المراد في الحديث من رفع الأصوات في المساجد رفعها بالعلم أو الوعظ أو ذكر الله، فإن ذلك كان في عصر النبي ﷺ فقد كان يدخل المسجد فيرى الصحابة حلقة تذكّر الله، وأخرى ترتل القرآن، وأخرى تتفقّه في الدين، فكان عليه الصلاة والسلام يجلس مع المتعلمين ويقول: (إنما بعثت معلماً).

وكان ﷺ يرفع صوته في الخطبة حتى كأنه ينذر جيشاً، وكان حسان بن ثابت وغيره يرفعون أصواتهم بمدحه ﷺ في المسجد، إنما مراده عليه الصلاة والسلام برفع الصوت في المسجد الذي هو من أشرط الساعة، رفع الصوت بالجدل والمنازعات، وقد شنع الله على أهل الجدل، قال سبحانه: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ الزخرف ٥٨، ورفع الأصوات في المساجد بالعلوم التي ابتدعتها الخلف، مما لم يكن في عهد السلف من الاختلاف في التفسير ودلائل التوحيد، مثال ذلك قولهم الوجود عين الموجود، أو غير الموجود، والوحدة والكم، وحصر دلائل التوحيد في علم الميزان (المنطق)، والحكم في المقلد في التوحيد بالفكر، مما لم يرد في كتاب ولا في سنة والله تعالى يقول: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾ البقرة ٣، الآية، فرفع الصوت في المساجد بهذه البدع من علامات الساعة، تداركنا الله بخفى لطفه، ومنح العلماء الخشية من الله ليكونوا مسارعين للعمل بمحاب الله ومراضيه سبحانه.

أجر الناس على معصية الله زعيمهم

أما قوله ﷺ: (وكان زعيم القوم أرذلهم) فمعنى الزعامة: السيادة، يريد ﷺ أن يكون سيد القوم الذي يرجعون إلى رأيه أرذلهم، أى أجرأهم على معصية الله، وأبعدهم عن خشية

الله من دناءته وخسته وإيثاره نفسه على من جعلوه سيّداً، وقد أصبحنا نرى أحوال الزعماء مع من سودوهم عليهم سيئة، نسأل الله السلامة والعافية من الفتن.

وقد كثر اليوم خوف الناس من أهل الشر الذين يسعون في ضرر الناس خصوصاً لدى من لهم سلطة وكلمة نافذة، وليس من أقاموا أنفسهم (شهود ملك) بمجهولين لدينا، وقد تحققت بنفسى هذا البلاء، فإن بعض من يدعون أن بيدهم شهادات بالعلم هددونى حتى بلغوا عنى السوء ونشروه على الجرائد السيارة، بأنى أخالف الحكومة، وبلغ أحد العلماء الممنوح شرف هيئة كبار العلماء عنى ما يغضب الله، حتى أثار على تائرة من لا قبل لى بهم، ولم يكفهم هذا حتى اتهمونى بما يغضب الله عليهم، وأشاعوا عنى ما هو شر من الفاحشة وهو الكفر، وبلغوا عنى الحكومة أنى أنشر كتباً ضدها، كل ذلك وهم يهددونى لأترك العمل للحق بالحق، فكنت فى هذا الابتلاء أنتظر قيام الساعة فى كل نفس لوضوح علاماتها.

الجهر بشرب الخمر

أما قوله عليه الصلاة والسلام: (وشرب الخمر ولبس الحرير واتخذت القينات والمعازف) يظهر والله أعلم أن مراده ﷺ بشرب الخمر أن يشرب علناً فى الحوانيت والبيوت، فإن الخمر كان يشرب قبل الإسلام وفى زمن الإسلام، ولكن كان شاربه يختفى عن أحب الناس إليه، لأن كل مسلم كان غيوراً للحق لا تأخذه فى الله لومة لائم، لا يرحم أباه ولا أخاه ولا ابنه إذا أغضبوا الله تعالى، وكان المنافقون يشربونها فى خفية، ولم يشربها مسلم مخلص أبداً. قال عليه الصلاة والسلام (لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن) وقد جاهر المنافقون بشرب الخمر الآن لفقد من يقيم حدود الله تعالى، وقد تحقق الحديث، فأصبحت بيوت الخمر برخصة من الحكومة، وعليها حرس من جنود الحكومة ليشرّب الفاسق الخمر آمناً على نفسه من تعدى أهل التقوى عليه، لأن جند الحكومة يحرسون حوانيت الخمر.

لا تعجب إذا رأيت القوة التى كانت تحارب الرذائل والمنكرات وتدفع الأعداء عن الوطن العزيز، تصبح معينة على ارتكاب ما حرم الله، فالجند الذى يحرس حانات الخمر

وبيوت العهارة ومسارح اللهو والمخلاعة هو الذى كان يجارب الرذائل والأعداء، وهذا من علامات قرب الساعة.

لبس الحرير

أما الحرير فقد لبسه الرجال، لا أقول عامة المسلمين، بل أئمتهم من العلماء والفقهاء، ولو أن رجلاً من السلف الصالح قام من قبره لحكم على النساء أنهن رجال وعلى الرجال أنهم نساء؛ لأن السنة أن يلبس الرجل الثوب الذى يستره إلى نصف ساقه ونصف ساعده، والمرأة تلبس الثوب الذى يستر جميع جسمها ويجر على الأرض، وقد رخص الفقهاء للمرأة أن تصلى فى الثوب الذى يمر على الأرض؛ لأن طول ثياب النساء ضرورى.

وها نحن اليوم نرى المرأة تلبس الثوب إلى ركبتيها وإلى ما فوق المرفقين، ونرى العلماء يلبسون الثوب يجر على الأرض ويزيد على أطراف الأصابع شبراً، فأصبح لباس الرجال لباساً للنساء، ولباس النساء لباساً للرجال، وبذلك صار الرجال نساء همة وإرادة، وصار النساء رجالاً إقداماً على القبائح والرذائل، فسلط الله عليهم من كانوا مماليك لديهم من الروم والخزر وغيرهم، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد ١١.

القينات

أما القينات فهى التى تغنى، وقد أصبحت كل امرأة فى بيتها قينة تضرب العود وتغنى لزوارها من النساء والرجال، أو تضرب المقصبة للصوت (الفونوغراف).

المعازف

وقوله: (والمعازف) العزيف: صوت الجن، والمعازف آلات اللهو التى تستعمل فى مجلس الأغانى، وقد اتخذت الآن حتى أصبح الأغنياء يعلمون بناتهم تلك الملاهى بمعلمات من الإفرنج أو معلمين، واعتادوا أن يكون من الضرورى وجود تلك الآلات مع البنت إذا تزوجت، وأنها لا تتزوج إلا إذا برعت فى استعمال تلك الآلات، وقد انتشرت تلك البلايا فى

مملكة الأندلس فقامت قيامتها، نسأل الله السلامة والعافية وأصبحت تلك المملكة الإسلامية أثراً بعد عين.

وها هي تلك البلية انتشرت في البلاد التي قلدت أوروبا، فترى البيت الواحد يكون في دور منه ميت، وفي الأدوار الأخرى المعازف والأغانى والطرب، كأن بنى الإنسان انقلبوا وحوشاً، ولم يبق إلا أن يأكل الإنسان أخاه كالوحوش، سلمنا الله وإخوتنا من تلك الفتن.

التكفيرين المسلمين

وقوله ﷺ: (ولعن آخر هذه الأمة أولها) معجزة كبرى، فإنك ترى اليوم العلماء بين الطلبة يحكمون بالكفر على من خالف رأيهم من أهل الإيمان، فترى بعضهم يلعن المعتزلة، والآخر يلعن الشيعة أو الماتريديه، وبعضهم يذم بعض الصحابة، نظراً بعين الجهل ومن جهل شيئاً عاداه، فتشبهوا بمن شنع الله عليهم بقوله: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا﴾ الأعراف ٣٨ الآية، وإن كانت في أهل الكفر بالله إلا أنها جرت بذيلها على من تشبه بهم.

والأمر المجمع عليه هو توحيد الله تعالى، وتصديق رسوله ﷺ فيما جاءنا به من عند الله تعالى، والقيام بالعبادات المفروضة من الصلاة والصيام والزكاة والحج. وما عدا ذلك مما اختلف فيه السلف والخلف، بحسب ما منحهم الله من قوة الإيمان وكمال اليقين، فذلك لا يقضى على المسلم بالكفر إلا للجهل من حكم بالكفر على خيرة الأمة، وكم من جاهل خبيث النفس يلعن خيرة الصحابة، كالرفض: الذين يلعنون الشيخين، وكالضلال: الذين يلعنون رجالاً من الصحابة من بنى أمية، وقد انتشر هذا حتى كتب في كتب العلم، فترى في كتب العلم (قبح الله المعتزلة) وما أشبه ذلك، فصدق رسول الله، وحفظ الله ألسنتنا وقلوبنا مما يغضبه إنه مجيب الدعاء.

وبقية الحديث معلوم. والواجب علينا أن نجاهد أنفسنا حتى يحفظنا الله من تلك الخصال، التي هي علامات قيام الساعة وأسباب غضب الله تعالى.



الأبناء يهدمون مجد الآباء

وقد انتشر ما هو شر من هذا وهو أن النشء الذين تربوا في مدارس الإفرنج قبل تحصيل مبادئ الدين صاروا حرباً على الدين، يلعنون آبائهم وأسلافهم وينشرون الجحود والإباحة بقوة تقليداً لمعلميهم، وتعزيزاً لسلطة الظلمة المستعبدين، ليهدموا مجد آبائهم بأيديهم، قال تعالى: ﴿وَيَأْتِي اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ التوبة ٣٢.

كل ذلك لجهل أسرار يوم القيامة أو نسيانها، أو تناسيهم طمعاً في العاجلة، وقد عظمت الفتنة باشتغال علماء الدين بجلب محبة الوزراء والأمراء ورجال السلطة، لينالوا السيادة والثراء، فيبذل كل واحد منهم مواهبه في خدمتهم وفي قطيعة أهل التقوى عنهم، غير مراقبين الله ولا خائفين من كشف الستر يوم القيامة، وكم أوقع أذعياء العلم العداوة بين الملوك وبين الأتقياء من العلماء بالله، حتى سلطوا الملوك على أهل التقوى والإصلاح والصالح، فانتمت من الله من الملوك ومن الذين أعانوهم بأعدائه من المستعمرين، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ هود ١١٣، وقد شنع الله على قوم بقوله: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً﴾ المجانية ٢٣ إن الآية، وشنع الله تعالى على أخبار بنى إسرائيل، فقال: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ البقرة ١٥٦.

علماء الدنيا يكتنون الحق

فأثبت سبحانه أن العلماء بالدنيا، أو الذين تعلموا علوم الدين لها، يعلمون الحق ويكتمونونه، أو يعلمونه ويحرفون الكلم عن مواضعه وقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لِيَآكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ التوبة ٣٤، وهذه الآية وإن نزلت في علماء بنى إسرائيل فهي يقظة لقلوبنا، حتى نتباعد عن أمثالهم فينا من علمت ألسنتهم وجهلت قلوبهم.

وقد حذرنا رسول الله ﷺ من عليم اللسان جهول القلب، الذي جعل العلم وسيلة لنيل تلك العاجلة، فأهلك نفسه وأهلك العامة الذين يقتدون به.

وكيف لا وأنت ترى العالم يخلق لحيته ويجلس في أماكن اللهو والمخلاعة مع الإباحيين؛ فيجلس في مجتمعات الخمر والسماع والرقص، ويتودد إلى من أثبت القرآن أن التودد إليهم كفر، وقد عم البلاء فاقتردى طلبة العلم بشيوخهم وسبقوهم إلى عمل ما يقربهم من أعداء الله، وأعداء رسول الله ﷺ وأعداء أئمة الهدى القائمين بحجة الله في كل زمان.

قررت لك من أنواع الفتن التي حدثت الآن مما لم يكن في زمن السلف الصالح، وسببها تمكين أعداء الدين من المسلمين، وقد تضمنت أحاديث الفتن أنواعاً كثيرة نراها الآن بأعيننا من فقد الأمانة، وعدم الوفاء بالعهود، وطلب الدنيا بمعصية الله جهراً، فيتودد أعداء النسب الشريف والعلم والتقوى إلى بيوت الأعداء طمعاً فيما لا ينفع من الجاه والمنزلة، ولو كان في ذلك ما يغضب الله ويؤذي المسلمين، ولا تخلو تلك المجالس من الإقرار على ما أوجب الله علينا فيه الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد ترى بعينيك وتسمع بأذنيك الثناء والمدح لأهل المعاصي، والذم والتقيح لأهل الصلاح، وبينما تراهم مجتمعين على جاهه ونفوذه إذا بك تراهم انفضوا عنه إلى غيره ممن نال الجاه والمنصب ولو كان كافراً ويا ليتهم يراعون أدب الصحبة، ولكنهم يقبحون ما كانوا يحسنونه منه تقرباً إلى ذي الجاه، وكفى بذلك دلائل على قرب قيام الساعة. حفظنا الله وإخواننا من تلك الفتن التي تحبط الأعمال وتسلب الإيمان، إنه مجيب الدعاء.

رجوع إلى بيان كيفية البعث بالوارد

تقدم ذكر بعض الآيات الدالة على البعث وشرحها، وهنا نورد بقية الآيات الواردة في البعث. والأحاديث وكلام أئمة الهدى.

قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ الكهف ٩٩، وقال سبحانه: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٠٠﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم

بَرَزَ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٩٩﴾ الْمُؤْمِنُونَ ٩٩-١٠٠، وقال جل جلاله وعلا: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُفِخَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ النمل ٨٧، وقال جل جلاله: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس ٥١، وقال سبحانه: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِئَتْ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿الزمر ٦٨-٦٩﴾ وقال تقديست ذاته: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ ق ٢٠-٢٢، وقال سبحانه: ﴿يُحَسِّبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ بَلَى قَدَرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿القيامة ٣-٤﴾ وقال جلت قدرته: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ وَقُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ﴿وَسِيرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿لِلطَّغِينِ مَكَابِدًا﴾ لِبَيْتِينَ فِيهَا أَحْقَابًا ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾ النبأ ١٨-٢٤.

وهنا نكتب الآية التي بينت كيفية النشأة الأولى واتصل بها بيان النشأة الأخرى، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْقَةً فِي قَرَارِ مَكِينٍ ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْقَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ المؤمنون ١٢-١٦.

هذه هي الآيات الشريفة التي وردت في الصور وما يتعلق بها من خبر من الله تعالى لأهل الإيمان الذين يعقلون عن الله تعالى آياته، ويفقهون كلامه بما جعله سبحانه لهم من النور ﴿وَمَنْ لَّمْ يُجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾ النور ٤٠، وهي أيضاً حجة قاصمة لظهور أهل العناد الذين أضلهم الله وأعمى أبصارهم، وقفل قلوبهم فحرموا التسليم والذوق، وفي كل آية من تلك الآيات أسرار غامضة وإشارات عالية الأح الله أنوارها لأهل البصائر من المؤمنين، وأشهد حقائقها أهل القلوب من المحسنين، وهي عيان لأهل اليقين قال سبحانه: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ﴾ التكاثر ٥-٦.



النفخ ثلاث مرات

ومجمل ما بينته تلك الآيات الشريفة أن الصور محيط بالسموات والأرض، وأن النفخ فيه ثلاث مرات:

نفخة الفرع وهى قبل يوم القيامة، بها يفرع العالم أجمع إلا من شاء الله ممن سبقت لهم منه سبحانه الحسنى، وهذا الصور الذى تنفخ فيه هذه النفخة، ونفخة الصعق، ونفخة القيامة، هو القرن الذى جعل الله فيه لكل روح من أرواح الإنس والجن مكاناً.

والصور محيط بالسموات والأرض كما قررنا فأسفله سجن أرواح الكافرين والمنافقين، ووسطه مكان أرواح عامة المسلمين، وأعلاه روضة أرواح الأبرار والمقربين.

ونفخة القيامة هى الثالثة، وقبل أن تصل الأرواح إلى هذه الصور، تتمنى الرجوع عند الموت، بدليل قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَرْجِعُونِ﴾ المؤمن ٩٩، فيحول بينه وبين ما يشتهى، ولا يقول هذه الكلمة إلا من سبق عليهم القضاء بسوء الخاتمة، أعادنا الله وإخواننا المؤمنين، وأما أهل الإيمان فإنهم عند الموت تتوالى عليهم البشرى من الله تعالى قال سبحانه: ﴿لَهُمُ الْبَشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ يونس ٦٤، وتقرر أن النفخة الثالثة تجعل كل إنسان مشغولاً بنفسه فزعاً من شدة الهول، أذهب الفرع كل عاطفة لوالد أو ولد، قال سبحانه: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ المؤمنون ١٠١، وأجمت الحيرة الألسنة فلا يتساءلون، وأهل الإيمان بالله فى روح وريحان وأنس فى نعيم الجنان، قال تعالى: ﴿تَنْزَلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشُرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فصلت ٣٠.

أما النفخة الأولى فهى فى صور الخلق، وهى نفخة الفرع إذا ظهرت أشرط الساعة من طلوع الشمس من مغربها، ومن الخسف والمسح والصواعق والزوابع، ويقوى هذا الفرع حتى يموت من فى السموات ومن فى الأرض إلا الشهداء فإنهم لا يحصل لهم هذا الفرع بل يمر عليهم نسيم عليل بليل، فيموتون مشتاقون إلى رضاء ربهم سبحانه، وهم الذين استثناهم الله بقوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ النمل ٨٧، وقوله: ﴿وَكُلُّ أُنُوفٍ دَاخِرِينَ﴾ النمل ٨٧، أى

انتقلوا من الدنيا أذلاء مرغمين مقهورين، لأن تلك النفخة هي الأولى، وهي نفخة الفرع التي بعدها نفخة الصعق وبعدها نفخة القيامة.

وصور النفخة الأولى هو هياكل الناس؛ لأن كل واحد صور محيط بحقائق لا تحصى، فالهيكل الإنساني مجمع لكل أنواع الحقائق ففيه نفخة القدس، وفيه مادة أسفل السافلين، وفيه ما بين ذلك من كل الأنواع، فالإنسان كون صغير والكون كله إنسان كبير.

وقوله سبحانه: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ يس ٥١، الأجداث بالثاء جمع جدث، وقد تبدل الثاء فاء في لغة فقال الأجداف وهي القبور، وهذه هي النفخة الثالثة بعد نفخة الصعقة، وبعد ما بينت لك من رج الأرض رجاً ودكها دكاً ونسف الجبال نسفاً حتى تكون هباءً منبثاً، وبعد إنزال الأمطار من السماء التي هي كمنى الرجال أربعين سنة، وبتلك الأهوال العظام تتكون الهياكل الإنسانية من ذرات الأرض.

فإذا نفخت تلك النفخة في الصور خرجت الأرواح كالجراد المنتشر، فاتصلت كل روح بجسمها الذي كان بيتاً لها، وقام الناس ينسلون أى يسارعون.

❖ فالمقربون يسارعون على رفارف الأنوار إلى حظيرة الرضوان.

❖ والأبرار يسارعون على النجب إلى الفردوس وغيرها.

❖ وعامة المؤمنين ممن خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً يحاسبون حساباً يسيراً.

❖ والمتساهلون بالدين من أهل الإسلام يقفون للحساب، والأمر هناك مفوض لله العلي العظيم.

❖ وأهل الكفر بالله يزعج بهم في النار بغير حساب، وكلهم يسارعون.

وقوله سبحانه: ﴿وَنُفِّخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ الزمر ٦٨، هذه هي النفخة الثانية وهي التي تفقد فيها الأرواح الحياة الروحانية حتى لا يبقى ملك مقرب إلا ويفقد تلك الحياة، وهي الصعقة، إلا من اصطفاهم الله فأقامهم في مقام محبته لهم، وبعد تلك

النفخة يقول ربنا جل جلاله: ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ﴾ غافر ١٦، ثلاث مرات فلا يجيبه أحد لفناء من كانوا يدعون ملك الأشياء ويفترون بما لديهم وينازعون الربوبية في الملك، فيجيب نفسه بنفسه سبحانه قائلاً: ﴿لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ غافر ١٦، أما قوله تعالى: ﴿ثُمَّ نَفَخَ فِيهِ أُخْرَى﴾ السجدة ١٢، فبعد تلك الصعقة وتنفيذ ما قدره جل جلاله من إعادة الإنسان بما أراده في النشأة الثانية، تنفخ النفخة الثالثة، وبها إعادة الحياة الروحانية للأرواح فتقوم حية ناظرة.

المنظور بقدر المقامات

والمنظور إليه يختلف بقدر المقامات:

فأهل الاصطفاء ينظرون إلى وجه الله العلى.

وأهل الاجتباء ينظرون إلى ما أعده لهم سبحانه من النعيم والمسرات.

والسالكون ينظرون إلى واسع الرحمة وعميم العفو.

والمتهاونون بأحكام الله ينظرون إلى هول ذلك اليوم وشدته، ويشتد هولهم وفزعهم مما أراهم سبحانه من قرب الشمس من رعوسهم، ورمى جهنم بشرر كالفصر، وما يصيبهم من خزنة جهنم، حتى يصلوا إلى الموقف حيث الصراط والميزان، وحيث يكون القاضى هو الله والشاهد رسله عليهم الصلاة والسلام، وحيث تشهد عليهم جلودهم وجوارحهم وأمرهم مفوض إلى الله العلى الكبير.

وأما أهل الكفر بالله فيساقون إلى جهنم، منهم من يهوى فيها برأسه، ومنهم من يُزج فيها ومنهم ومنهم، أعادنا الله بوجهه الكريم.

فما تبين لك تفهم معنى إشراق الأرض بنور ربها، وذلك هو تجلى ربنا سبحانه، حتى يرى كل مخلوق جماله وجلاله، فلا يبقى في هذا الموقف أحد إلا ويكمل إيمانه ويتحقق باليقين الحق، ولكن لا ينفع أهل الكفر إيمانهم في هذا الوقت، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ السجدة ١٢.

وقد بينت لك أن أهل هذا الموقف يتفاوتون، فالسابقون الذين سبقت لهم الحسنى منه سبحانه، يُحملون على رفارف العناية إلى منازلهم بحسب مقاماتهم إلى مقعد صدق أو الفردوس، ومنهم من يرفعهم الله فيجلسهم قدام عرشه على منابر من نور، والمتقون من الأبرار يحشرون وفداً إلى الرحمن سبحانه، فينزلهم في دار كرامته سبحانه دار السلام أو جنة النعيم أو جنة المأوى أو جنة الرضوان قال تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ الانفطار ١٣.

والعصاة من الأمم يوقفون في الحشر، قال تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ الصافات ٢٤، وقال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ مريم ٨٦، وأهل الكفر بالله تعالى يُساقون إلى نار جهنم، قال تعالى: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ الكهف ٤٩، وقال تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزَنًا﴾ الكهف ١٠٥.



دلائل البعث

من أحاديث رسول الله ﷺ وكلام أئمة الهدى

عن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته واضعاً سمعه ينتظر أن يؤمر فينفخ) فكان ذلك ثقل على أصحابه رضي الله عنهم فقالوا: كيف نفعل أو كيف نقول؟ قال: (قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله) وربما قال: (على الله توكلنا) أخرجه الترمذى.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (ما بين النفختين أربعون) قيل: أربعون يوماً؟ قال أبو هريرة: أبيت، قيل: أربعون شهراً؟ قال أبو هريرة: أبيت، قيل: أربعون سنة؟ قال: أبيت. (ثم ينزل من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، وليس شئ من الإنسان إلا يبلى، إلا عظم واحد وهو عجب الذنب، منه يركب الخلق يوم القيامة) أخرجه الستة إلا الترمذى.

وعن كعب بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إنما نسمة المؤمن طير يعلق في شجرة الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعثه) أخرجه مالك والنسائي.

وعن أبي رزين العقيلي قال: (قلت يا رسول الله كيف يعيد الله الخلق، وما آية ذلك؟ قال ﷺ: (أما مررت بوادي قومك جدباً، ثم مررت به يهتز خضراً؟ قلت: نعم. قال: فتلك آية الله في خلقه كذلك يحيى الله الموتى) أخرجه رزين.

ومن كلام سيدنا عليّ كرم الله وجهه، قال ﷺ بعد حديث طويل بين فيه شيئاً من غوامض أسرار الدين، يصف الموت وكيفية البعث: (سبحانك خالقاً ومعبوداً بحسن بلائك، عند خلقك خلقت داراً، وجعلت فيه مآدبة مشرباً ومطعماً وأزواجاً وخداماً وقصوراً وأنهاراً وزروعاً وثماراً، ثم أرسلت داعياً يدعو إليها، فلا الداعي أجابوا ولا فيما رغبت إليه رغبوا، ولا إلى ما شوقت إليه اشتاقوا، أقبلوا على جيفة افتضحوا بأكلها واصطلحوا على حبها. ومن عشق شيئاً أغشى بصره وأمراض قلبه، فهو ينظر بعين غير صحيحة، ويسمع بأذن غير سمیعة، وهو يرى المأخوذین على الغرة حيث لا إقالة ولا رجعة، كيف نزل بهم ما كانوا يجهلون، وجاءهم من فراق الدنيا ما كانوا يأمنون، وقدموا من الآخرة ما كانوا يوعدون، فغير موصوف ما نزل بهم، اجتمعت عليهم سكرة الموت وحسرة الفوت، ففطرت لها أطرافهم، وتغيرت لها ألوانهم، ثم ازداد الموت فيهم ولوجاً، فحیل بین أحدهم وبين منطقته، وإنه لبین أهله ينظر ببصره ويسمع بأذنه على صحة من عقله وبقاء من لبه، يفكر فيم أفنى عمره وفيم أذهب دهره) .. ثم وصف حسرة الإنسان في تلك اللحظة على ما ارتكبه ثم قال: (فلم يزل الموت يباليغ في جسده حتى خالط لسانه سمعه، فصار بين أهله لا ينطق بلسانه ولا يسمع بسمعه، يردد طرفه بالنظر في وجوههم ليرى حركات ألسنتهم، ولا يسمع رجوع كلامهم، ثم ازداد الموت التباطؤ، فقبض بصره كما قبض سمعه، وخرجت الروح من جسده فسار جيفة بين أهله، وقد أوحشوا من جانبه، وتباعدوا من قربه، لا يسعد باكياً، ولا يجيب داعياً، ثم حملوه إلى محط في الأرض وأسلموه فيه إلى عمله، وانقطعوا عن زورته. حتى إذا بلغ الكتاب أجله والأمر مقاديره، وألحق آخر الخلق بأوله، وجاء من أمر الله ما يريد من تجديد خلقه أماد (ماد الشيء: تحرك على غير انتظام) السماء وفطرها (فطره فاطر: شقه وصدعه)، وأرج الأرض أرجفها، وقلع جبالها ونسفها، ودك بعضها بعضاً من هيبة جلالته ومخوف سطوته، وأخرج ما فيها فجددهم على أخلاقهم (خلق الثوب وأخلق: أي بلى، وثوب أخلاق: إذا شمله البلى والمراد جددهم بعد بلى أشلائهم ورفاتهم) وجمعهم بعد تفرقهم، ثم

ميزهم لما يريد من مسألتهم عن خفايا الأعمال وخبايا الأفعال، وجعلهم فريقين أنعم على هؤلاء، وانتقم من هؤلاء، فأما أهل طاعته فأثابهم بجواره، وخلدهم في داره، حيث لا يظعن النزال ولا تتغير لهم الحال، ولا تنوبهم الأفزاع، ولا تنالهم الأسقام، ولا تعرض لهم الأخطار، ولا تشخصهم الأسفار، وأما أهل المعصية فأنزلهم شر دار، وغل الأيدي إلى الأعناق، وقرن النواصي بالأقدام، والبسهم سراويل (سراويل: جمع سراويل وهو القميص) القطران ومقطعات (مقطعات: كل ما يقطع من الثياب كالسراويل والسروال وهي التي تشمل البدن وتحتويه بخلاف ما لا يقطع منها كالأرز) النيران، في عذاب قد اشتد حره، وباب قد أطبق على أهله، في نار لها كلب (الكلب: الهيجان والاضطراب) ولجب (اللب: الصياح والجلبة)، وهلب ساطع، وقصيف (القصيف: الصوت الشديد) هائل، لا يظعن (يظعن: يسير ويرحل) مقيمها، ولا يفادى أسيرها، ولا تفصم (فصم الشيء: كسره وقطعه) كبولها (الكبل: القيد)، لا مدة للدار فتفنى، ولا أجل للقوم فيقضى..)



قبس من السرامصون

الإسلام دين الفطرة والكرامة

تعلم أن حكمة إيجاد الله الخلق، أن يظهر سبحانه خلقه رباً مقصوداً وإلهاً معبوداً، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ الذاريات ٥٦، وأن يكون سبحانه أقرب إليهم من أنفسهم، رعاية ومراقبة أو ملاحظة وتذكيراً، قال سبحانه: ﴿وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق ١٦، وقال سبحانه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ﴾ الواقعة ٨٥. وأن يكون سبحانه ولياً معيناً مجيباً مغيباً، قال تعالى: ﴿أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾ ق ١٦، وقال سبحانه: ﴿أَمِنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ﴾ النمل ٦٢، فمن سبقت له الحسنى حضر فلا يغيب، فإذا اقتضت البشرية فمس شيطانها المؤمن، بين له نور الإيمان بالذكرى حكمة إيجاده، فرجع إلى الله مستبصراً، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَافٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ الأعراف ٢٠١، ومن لم تسبق لهم الحسنى وكانوا في حضرة القرب، مسهم طيف الشيطان فوقوا في وادى الغفلة، وتاهوا عن المحجة في بيداء الحجاب، قال تعالى: ﴿زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ آل عمران

١٤، وقال سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجْرَةً أَوْ لَهْوًا أَنْفَضُوا إِلَيْهَا﴾ الجمعة ١١.

والمؤمنون يتذكرون ويستبصرون، والمحسنون يجاهدون فيشهدون، والموقنون منحوا الرعاية فيراقبون فيحضرون. قال سبحانه: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصفات ١٦٤، وإنما هو العلم يرفع الله به من يشاء، ولا يستوى العالم بالله وبأيام الله وبأحكام الله وبحكمة أحكامه سبحانه والمجاهل بها.

وليس العلم ما يقربك من الملوك والأمراء ويرفع مقامك عند الخلق من علوم الصناعات وعلوم اللسان وعلوم السياسة وتديير المدن، فإن هذه علوم عند أهلها، لأن الله تعالى شنع على من حصلوا تلك العلوم وجهلوا العلم النافع، الذي يُكسب القلب الخشية من الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَهْرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَنَفُونَ﴾ الروم ٧.

خلق الله الإنسان مؤهلاً لأن يكون في مقعد صدق عند مليك مقتدر، تخدمه الملائكة الأطهار، ويمنحه الله المشيئة المطلقة، وبين الله له ذلك في الدنيا ليسارع إلى محاب الله ومراضيه، وابتلاه بالشیطان والحظ والهوى ليجاهد نفسه في ذات الله، فنسى نفسه أو جهلها، ونسى عهد الله له وأمانة الله لديه، ولو علم حكمة إيجاده وسر إمداده، لأنس بربه في الدنيا ورآه يوم القيامة.

ولو نظر الإنسان بعين فكره إلى نشأته الأولى والأخرى، لعلم مقدار الدنيا ولجعلها مزرعة للآخرة وطريقاً يوصل إليها، ولكن قال تعالى: ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ﴾ من أي شئ خلقه ﴿مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ ثم السبيل يسره ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ﴾ ثم إذا شاء أنشره ﴿عَسَى

١٧-٢٢.

أثبت سبحانه أنه هو الذي أوجدنا من نطفة في قرار الرحم، لنعلم فضله العظيم علينا، وقدرته العجيبة التي بها أوجدنا، ثم بين سبحانه أنه هو الذي أمدنا بما لا بُد لنا منه وأكمل سبحانه ﴿كَلَّا لَمَّا يَقُضِ مَا أَمَرُهُ﴾ فليُنظر الإنسان إلى طعامه ﴿أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا﴾ ثم شققنا الأرض شققاً ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ وعنباً وقضباً ﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ وحدائق غلباً ﴿وَفَكْهَةً وَأَبَا﴾

مَتَّعَالِكُمْ وَلَا نَعْمِكُمْ ﴿٣٢-٣٣﴾ عيس ٣٢-٣٣، ثم يبين لنا أن الذى خلقنا مما علمنا وأمدنا بما علمنا وشهدنا، هو سبحانه الذى ينشئنا النشأة الأخرى بعد الأهوال العظام من الفتن قبل فناء الإنسان، وبعد الآيات الكبرى من إنزال المني من السماء، حتى تذوب الأرض من رجها ودكها، ونسف جبالها حتى تكون هباءً منثوراً، بعد أن تكون كثيباً مهيباً بقواصف الرياح، بين الله سبحانه تلك الحقائق بقوله: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاحَةُ ﴿٣٦﴾ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٧﴾ وَأُمِّهِ ﴿٣٨﴾ وَأَبِيهِ ﴿٣٩﴾ وَصَحْبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٤٠﴾ لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٤١﴾ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٤٢﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٤٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٤﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٦﴾ عيس ٣٣-٤٢، فالصاحه هى تلك الآيات من دك الأرض ورجها، حتى تتحلل وتصير جبالها هباءً منثوراً، ويتبعثر ما فيها وتخرج أثقالها، وينفخ فى الصور النفخة الثالثة، فيقوم الناس لرب العالمين فى جزع وهلع مما حل بهم من هول المحشر، وانقطعت بينهم الأسباب والروابط والأنساب والضوابط، فصاروا حيارى سُكارى، يتمنى كل واحد منهم خلاصه ولا خلاص.

وهذا هو المقام الذى تظهر فيه الحقائق جلية، فيفرح المسلمون الذين صدقوا الله ورسوله ﷺ، وهم الذين بشرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٦﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٧﴾ عيس ٣٨، ويجزن أهل المعاصى لهول الموقف ويتمنى كل واحد منهم أنه لم يكن نسي هذا اليوم، ويئس أهل الكفر والنفاق ويتمنون أن يكونوا تراباً، وهم الذين خوفهم الله فى الدنيا بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٤﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤٥﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجْرَةُ ﴿٤٦﴾ عيس ٤٠-٤٢.

بينت لك أن حكمة الإيجاد والإمداد، أن يظهر جل جلاله للخلق بآياته الجليلة، لأن ظهوره سبحانه له فيه مستحيل أن يظهر به لغيره، قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ﴿٦٩﴾ الزمر ٦٩، وقال جل جلاله: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ ﴿١٠٣﴾ والأنعام ١٠٣، وقال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ ﴿٢٥٥﴾ البقرة ٢٥٥، فنفى سبحانه وتعالى عن الخلق الإحاطة بقليل من العلم، إلا ما شاء أن يحيطنا علماً به سبحانه، فكيف ندرك ما هو عليه فى نفسه سبحانه، والعلم غير المعلوم، وكمال العلم به سبحانه العجز عن إدراك علمه، فضلاً عن كنهه جل جلاله، وما أظهره يوم القيامة هو محبوبه سبحانه، لأن تلك الشدائد والنار عدل منه سبحانه، فهو تنزه وتعالى يجب العدل، وما تفضل به على المقربين والأبرار يوم القيامة فضله العظيم،

وفضله محبوبه جل جلاله، إلا أن الفضل أحب إليه من العدل، وهو المرید المختار لم يُكرهه أحد على عمل من الأعمال، ومن الذى يكرهه، والكل مقهورون بقهره، وهو سبحانه الذى أوجدنا من العدم بعلم ومشیئة وإرادة وحكمة وتدبير.

وهل كان للعدم قوة تُكره ربنا على عمل من الأعمال... تنزه وتعالى، ولكنه سبحانه خلق الخلق وأراد أن يكون منهم شقى وسعيد قبل أن يخلقهم، فأبرزتهم القدرة كما شاء وأراد، ومُرادُه جل جلاله محبوب له.

وما ورد فى القرآن من اتصافه بالكراهة، فمعناها والله أعلم عدم المشیئة بقوله: ﴿كِرَهُ اللَّهُ أَنْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ التوبة ٤٦، أى لم يشأ ولم يقدر، أما الكراهة بمعناها المعقول لنا فمستحيلة عليه جل جلاله، فهو سبحانه الذى خلق إبليس وأبلسه لحكمة، وخلق آدم وقدر عليه المعصية وتاب عليه وهدى، وإرادته مقتضى كمال أسماؤه وصفاته.

وأمره ونهيه ابتلاء منه لخلقه، قال تعالى: ﴿وَتَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ الأنبياء ٣٥، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَبْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبَّهُ بِكَلِمَاتٍ﴾ البقرة ١٢٤، فهو سبحانه القهار والرءوف الرحيم والضرار والنافع والخافض والرافع والهادى والمضل، قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم ﴿هود ١١٨-١١٩﴾، فهو الجليل وهو الجميل وهو المحسن المتفضل وهو شديد البطش شديد العقاب، وما تراه بعينيك هو بدائع إبداعه وغرائب قدرته وعجائب حكمته وباهر قوته، فتبارك الله أحسن الخالقين.

قال سبحانه: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ الفاتحة ٤، يعنى الذى يملك يوم القيامة مُلكاً لا ينازعه فيه مغرور بنفسه ولا جاهل بقدره ولا غافل عن مبدئه ونهايته، ولا كافر أعماه حظه وهواه وأبعدته شهوته عن الحضور مع الله كما كان فى الدنيا، فإن العالم يوم القيامة كشفت لهم الحقائق حتى عرفوا أنفسهم وعلموا مقدارهم الحقيقى، وأيقنوا أن المُلِكُ لله الواحد القهار، وكانوا فى الدنيا ينازعون الربوبية وينافسون الألوهية، فهذا يقول: ملكى وعيناي وأذناى ومالى ودارى وعبيدى، وهذا يدعى أنه مَلِكٌ وأنه يفعل ما يشاء، وذاك يزعم أنه يضر وينفع، وهذا ينكر البعث، والآخر يجحد بالله، وغيره يكذب رُسل الله عليهم السلام ويعادى

أولياءه، وغيره يظلم العباد ويفسد في البلاد، والآخر ينتقم ممن لم يعظمه جهلاً بيوم الحساب ونسياناً لله تعالى، قال سبحانه: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ الحشر ١٩، وقال جل وعلا: ﴿الْيَوْمَ نَسْنَاكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ الجاثية ٣٤، وقال جل وعلا: ﴿وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ الحديد ١٤، قال سبحانه: ﴿وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا﴾ يونس ٧، وما الحياة الدنيا إلا متاع، والمتاع في اللغة هو ما استعملته حتى صار لا ينتفع به.

والسعيد من هداه الله وألهمه الخير ومنحه صحبة الأخيار الدالين على الخير. أسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن سبقت لهم منه الحسنى، إنه مجيب الدعاء.



الشفاعة

اختلاف العلماء في الشفاعة لفظي، فإن كل واحد منهم حكم بقدر ما فهم، فمن فهم قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ﴾ المدثر ٤٨، أنكر الشفاعة لما يعلمه من عظمة الله وكبريائه وجلاله، ومن رهبة الرُّسل صلوات الله وسلامه عليهم بقدر علمهم به، ولكن الآية خاصة بمخصوصين؛ لأن الله تعالى يخاطب قوماً بأعيانهم، وهؤلاء هم أعداء الله وأعداء رسله عليهم السلام، وهذه الآية في سياق قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ﴾ المدثر ٣٨.

ومن فهم معنى قوله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ الضحى ٥، وكلنا نعلم أن رسول الله ﷺ يرضيه أن يرحم الله كل من مات على الإسلام، ونعلم أن الله تعالى أخبر عن نبيه ﷺ بقوله: ﴿بِالْمُؤْمِنِينَ رِءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ التوبة ١٢٨، وبقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧، وتصور معنى تلك الآيات اطمأن قلبه إلى الإيقان بشفاعة سيد المرسلين.

ومن فهم قوله تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ البقرة ٢٥٥، تحقق أن الله تعالى يقبل شفاعة الشافعين في أهل النار إذا أذن لهم بالشفاعة، ومن يرى إنكار الشفاعة مطلقاً خطأ.

الشفاعة في الأحاديث

والحجة بعد ما بيناه ما ورد عن رسول الله ﷺ من الأحاديث الصحيحة على شرط
الشيخين أو شرط غيرهما ممن ثبتت عدالتهم.

أحاديث الشفاعة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل
نبي دعوته، وإنى اختبأت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة، فهي نائلة إن شاء الله تعالى من
مات من أمتي لا يشرك بالله شيئاً) أخرجه الثلاثة والترمذى.

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) أخرجه أبو داود

والترمذى.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا كان يوم القيامة ماج الناس بعضهم إلى
بعض، فيأتون آدم عليه السلام فيقولون: اشفع لذريرتك، فيقول: لست لها، ولكن عليكم إبراهيم عليه السلام
فإنه خليل الله، فيأتون إبراهيم فيقول: لست لها، ولكن عليكم موسى فإنه كليم الله تعالى،
فيؤتى بموسى عليه السلام فيقول: لست لها ولكن عليكم عيسى فإنه روح الله تعالى وكلمته فيؤتى
بعيسى عليه السلام فيقول: لست لها، ولكن عليكم بمحمد ﷺ، فيأتون فأقول: أنا لها، فأنتلق
فأستأذن على ربي فيؤذن لي، فأقوم بين يديه فأحمده بمحامد لا أقدر عليها الآن يلهمنيها
الله، ثم أخرج لربي ساجداً فيقول: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع
تشفع، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقول: انطلق فمن كان في قلبه مثقال حبة من برة أو
شعيرة من إيمان فأخرجه منها، فأنتلق فأفعل، ثم أرجع إلى ربي فأحمده بتلك المحامد، ثم
أخرج له ساجداً، فيقال لي: مثل الأولى فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال لي: انطلق فمن كان
في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه منها، فأنتلق فأفعل، ثم أعود إلى ربي
فأفعل كما فعلت، فيقال لي: ارفع رأسك مثل الأولى، فأقول: يا رب أمتي أمتي، فيقال:
انطلق فمن كان في قلبه أدنى من مثقال حبة من خردل من إيمان فأخرجه من النار، فأنتلق

فأفعل، ثم أرجع إلى ربي في الرابعة فأحمده بتلك المحامد، ثم أخر له ساجداً، فيقال لى: يا محمد ارفع رأسك، وقل يسمع لك، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأقول: يا ربي ائذن لى فيمن قال: لا إله إلا الله، قال: ليس ذلك لك، ولكن وعزتى وجلالى وكبريائى وعظمتى لأخرجن منها من قال: لا إله إلا الله). أخرجه الشيخان.

ووردت أحاديث أخرى كثيرة فى الشفاعة، ولكننا أحببنا أن نورد الأحاديث التى تقوم بها الحجّة مما ورد بصحيح البخارى ومسلم، أو بصحيح غيرهما وعلى شرطهما.

* * *

رشفة من طهور العرفان

فضل الله ورحمته على العالمين

خلق الله العالم وهو غنى عن العالمين، وتفضل جل جلاله وهو ذو الفضل العظيم، فرحم الخلق بالخلق فى الدنيا، ونفع الخلق بالخلق، قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ الأنبياء ١٠٧، فتفضل على من شاء من عباده بفضله وأقامه فى الدنيا سبباً لنيل العباد فضل الله تعالى ورحمته وإحسانه، وإنا لنرى الإيمان والهداية والعلم يتفضل الله بها علينا على أيدى رُسُله وأحبابه من أوليائه الكرام.

فكما أن الله جل جلاله أجرى إحسانه فى الدنيا على يد من شاء من خلقه، فهو جل جلاله يقيم من شاء من رسله عليهم السلام ومن أوليائه المقربين مقاماً، يجعلهم سبباً لنيل أهل المعاصى المغفرة من الله تعالى، والنجاة من النار بشفاعتهم.

وليس ذلك مما يؤدى إلى ما لا يليق بالله تعالى من النقص؛ لأنه سبحانه وتعالى هو المتفضل فى الدنيا والآخرة، ولأن ذلك برهان على كمال فضله وعنايته بأحبابه.

وقد بين الحديث الشريف الذى رواه الإمام البخارى: أن الله تعالى يحب العبد المؤمن حتى يبلغ بحبه له مبلغاً يستجيب له فيه إذا سأل، ويعطيه إذا طلب.

دليل ذلك في القرآن

ودليل ذلك في القرآن المجيد، قال سبحانه تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾ الزمر ٣٤، بعد أن قال سبحانه: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ق ٣٥، أى فى الجنة، فمنحهم المشيئة فى الجنة فيما يختص بمسراتهم ونعيمهم، ومنحهم سبحانه المشيئة عنده فيما يتعلق بمن كانوا يحبونهم فى الدنيا، ويعطفون عليهم ويرحمونهم، ولا معنى لقوله سبحانه: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ﴾ إلا ما قرره لك من قبول شفاعتهم وإكرامهم بأن يشهدهم الخير فيمن والاهم فى الدنيا، واقتدى بهم وعمل بأعمالهم.

وعبد يحبه الله ويكرمه بأن يجعله دالاً عليه ناصراً لدينه مرشداً لعباده، ويكرمه على أيدى من اتبعوه بالنصرة والتأييد له، وبذل ما فى الوسع مما يملكون، يتفضل سبحانه فيكرم به أتباعه يوم القيامة، كما أكرمهم به فى الدنيا وإكرامه بهم فيها.

قف أيها العقل عند الأدب لحضرة الربوبية، وسلم تسلم، فالأمر فوق مقدارك، وليس لك الحكم على ربك، وإنما أنت حاكم على ما فىك وما حولك تدبيراً وتقديراً.

واسمع بأذن القلب، قال تعالى: ﴿عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ الإسراء ٧٩، يعنى أنه جل جلاله يبعثه ﷺ مقاماً يحمد فيه العالم أجمع، والعالم لا يحمدون ولا يشكرون إلا من نالوا به خيراً عظيماً، وما هو هذا الخير يوم القيامة؟ هو الخير الذى يحتاج إليه كل نوع من أنواع العالم؛ فنجاة العصاة من النار خير عظيم لهم، ودخول أهل السيئات الجنة فضل عظيم، ورفع درجات أهل الإيمان فى الفردوس الأعلى فضل عظيم، ووصول أهل المجاهدات إلى مقعد صدق فضل عظيم، ونيل أهل المشاهدات رؤية الله جل جلاله فضل عظيم، وجلوس المتحابين فى الله على منابر من نور قدام عرش الرحمن فضل عظيم، وفوق ذلك من على المقامات ما لا تفى به عبارة ولا تبينه إشارة، كل ذلك الفضل العظيم بشفاعة الحبيب المصطفى فى الآخرة، وبتوفيق الله لنا بكمال اتباعه ﷺ فى الدنيا، وهذا هو المقام المحمود الذى يحمد عليه العالم أجمع.

الشفاعة ليست منازعة لله تعالى في الألوهية

ومن ظن أن الشفاعة منازعة لله تعالى في الألوهية خطأ؛ وإنما هو الفضل العظيم يظهره الله على يد من شاء ويعطيه لمن يشاء والله ذو الفضل العظيم، قال الله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ فاطر ٤٢، فرفع الذين كمل إيمانهم والذين تفضل عليهم بالعلم إلى تلك الدرجات، يذاق منه التفضل عليهم بقبول شفاعتهم في أحبابهم، بعد شفاعة رسول الله العظيم فيمن تلوثوا بالخطايا من السيئات، وإذا تفضل ذو الفضل العظيم بفضله على من شاء من الذي يمنع! قال تعالى: ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ التحريم ٨.

الدليل على شفاعة المؤمنين لإخوانهم

وقال سبحانه: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَآغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ التحريم ٨، بشرنا الله تعالى بأنه سبحانه لا يخزي المؤمنين بعد أن جعل لهم نوراً بين أيديهم وعن أيانهم، وهذه البشرية تدل صراحة على أنه سبحانه وتعالى يستجيب لهم، ويتفضل عليهم بما يريدونه منه سبحانه، فلا يخزيهم جل جلاله إذا تشفعوا عنده في أحبابهم، لأن معنى الخزي حرمان الطالب من نيل طلبه، وهؤلاء لا طلب لهم يخص أنفسهم، لأن الله تعالى ألبسهم حلة القبول والنور عند خروجهم من القبور، وحملهم على رفارف الرحمة والعناية، فلم يبق من داع لأن يخبرنا سبحانه أنه لا يخزيهم، اللهم إلا ما يتعلق بشفاعتهم لأحبابهم الذين كانوا يصحبونهم في الدنيا ولكنهم قصروا، بدليل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ التحريم ٨، أي اجعلنا كلنا نوراً حتى تتفضل علينا بمواجهتك ونيل ما نحبه لإخواننا منك سبحانه.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ الحديد ١٢، فرجال أحبهم الله ومنحهم النور عن أيانهم وبشرهم بالإقامة في المسرات الدائمة والنعيم الأبدي، وهم الذين جعلهم الله بالرحمة في الدنيا، فكيف تتم لهم المسرات وأهل محبتهم في الله في العذاب. هؤلاء لا يرون هذا النعيم إلا إذا رأوا من كان معهم في الدنيا في طاعة الله تعالى

معهم في النعيم يوم القيامة، ومن هذا نعتقد أن الله تعالى يكرمهم بقبول شفاعتهم فيمن أحبهم فيه سبحانه.

وقال تعالى: ﴿لَا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا﴾ مريم ٨٧، فنفي الشفاعة عن المجرمين، وأثبتها لمن اتخذ عهداً عنده سبحانه.

فمنكر الشفاعة بعد إثباتها بالآيات القرآنية والأحاديث الصحيحة النبوية، يُجزم الشفاعة يوم القيامة، وحسن الظن بالله من أوثق عُرى الإيمان.

فأنا والحمد لله أعتقد أن لرسول الله ﷺ الشفاعة العظمى، وأن لكل مؤمن شفاعة في أخيه المسلم، وأطمع إن شاء الله أن أنال الخير برسول الله ﷺ، ثم بشفاعة إخوتي والمؤمنين، بل وأرجو بحسن ظني في الله ما هو فوق ذلك مُطمئناً قلبي، وإن كثرت ذنوبي وعظمت خطاياي، فإن الله تعالى لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات، وهو ذو الفضل العظيم.

رشفة من طهور الأرواح

إن الله ذو الفضل العظيم، فهو سبحانه وتعالى يكرم من شاء من رُسُله ومن أبداهم الصديقين وورثتهم المجددين لسُننهم، بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر؛ فنعيم الجنة إكرام من الله لأهل الإيمان، ونعيم الرضوان إكرام منه سبحانه لأهل الإحسان، ونعيم المشاهدة إكرام منه جل جلاله لأهل الإيقان، وهناك فضل فوق ذلك: هو أن يؤنس من أحبهم وقربهم على بساط مؤانسته وقربه بما شاء من فضله العظيم، عندما يتجلى بما هو أهله من الإحسان والجمال والنور والبهاء والكمال، بعد أن تجلى بما هو أهله من الجلال والقهر والانتقام والقوة والبطش والكبرياء، فيأنسون على هذا البساط بما ينتزل به لهم، ويشهدون ما يحبه من العفو والمغفرة والإحسان والإكرام، لأنه العفو الغفور التواب المحسن الحنان المنان، فيسألونه جل جلاله أن يتجلى بمعاني صفات أسماء جلاله، وسؤال الله تعالى مخ العبادة، ويشفعون فيشفعون ويسألون فيجابون، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿لَهُمْ

مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿الزمر ٣٤﴾ إشارة إلى المقربين من حضرته، ومتى شاء أن يشفعهم فيمن عرفوهم في الدنيا قَبْلَ شفاعتهم، وأخرج من شاءوا إخراجهم من النار بفضله وإحسانه وإكرامه، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا﴾ ق ٣٥، إشارة إلى أهل الجنة.

والشفاعة ليست من الأمور المستحيلة بل هي جائزة، إذ ليس من الله تعالى أن يقف عبد محبوب له، فيسأله ما هو من صفته من الرحمة والعفو والإحسان والكرم، وقد أخبرنا جل جلاله أنه يحب المحسنين ومع المحسنين، فإذا كان يجب ذلك منا في الدنيا فكيف يكرهه يوم القيامة! وتلك الأمور الغيبية التي لا تقدر العقول على أن تدرك معانيها يجب علينا إذا حرمتنا الذوق أن لا نحرم التسليم، لما ورد عن رسول الله ﷺ في مثل هذه المسائل، ومن حُرِّمَ التسليم والذوق حُرِّمَ الخير كله.

وأن الذي حدا بمن أنكروا الشفاعة إلى ذلك، هو خوفهم على العامة أن يتجاوزوا حدود الله تعالى ارتكافاً على الشفاعة، أو خافوا مما يلزم على الشفاعة من أن هذا أمر لم يكن معلوماً لله تعالى، والحقيقة أن الله قدر الأقدار أزلاً، وقدر أن تكون الشفاعة، فهو المرید المقدر كل شيء ولا فاعل سواه.

ولأهل مشاهد التوحيد ذوق في الشفاعة وغيرها، فإن الله له فضل عظيم لا يحصى ولا يُعد، منه أن ينسب الأعمال الصالحات التي أعان العبد على عملها ووقفه لها وهداه إليها إلى العبد إيجاداً وعملاً فضلاً منه، ثم يتفضل عليه بفضل أعظم من ذلك، وهو أن يمنحه الملك الكبير جزاء على هذا العمل، والفضل فضله سبحانه أولاً وآخراً، والعبد لم يكن شيئاً مذكوراً، فهو سبحانه الذي أوجده من العدم وخلق بيديه، وهداه النجدين، وأعان كل مخلوق على ما قدره له أزلاً، فلا حرج على فضل الله تعالى أن يعظم أحبابه يوم القيامة فيجعلهم شفعاء لديه، ويرفع مكانتهم بين خلقه، فيقبل شفاعتهم.

ومن نظر إلى تلك الحقائق بعيون عقله المكتسب رُدَّ خاسئاً وحسيراً، ومن نظر إليها بعيون العقل الذي يعقل عن الله، وبالنور الذي جعله له سبحانه، اطمأن قلبه وقبل وأقبل، وفرح بفضل الله وبرحمته: ﴿مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُرْشِدًا﴾ الكهف ١٧.

رؤية الله تعالى

الرؤية وظيفة البصر، والغاية منها الكشف والعلم، والبصر إنما يبين الألوان والأبعاد وما عليه الحقيقة المرئية من الشكل، فالبصر لا يكشف الحقيقة من حيث ما هي عليه، فقد يرى الناظر جسماً أمامه فينكشف له لونه وشكله وبعده، ولكنه يجهل حقيقته، فإذا انكشفت حقيقته على ما هي عليه، فانكشافها يكون بغير البصر، ويكون الإنسان بهذا الانكشاف أدرك الحقيقة، فالرؤية شئ والإدراك شئ آخر، لأن الرؤية علم ما يمكن أن يراه الناظر من الحقيقة. وإنا لنرى كل الحقائق ونعجز عن إدراكها، فنرى الشمس قدر الرغبة، ونرى الشئ ونجهل طعمه وملمسه وريحته وخواصه وقدره، ولا يمكننا أن نحصل شيئاً من ذلك إلا بقوة أخرى غير البصر.

ولما كانت الرؤية هي الكشف أو العلم فقد تكون بالبصر للماديات، وبما يجعله الله تعالى للعبد من النور الذي ينال به بتلك الرؤية مما فوق المادة، وكلنا نعلم أن الله تعالى تنزه عن المثل - بكسر الميم وسكون الثاء - وأن الله تعالى له المثل الأعلى - بفتح الميم والثاء - كما أن الخيال يُمثل المحسوسات، والوهم يُمثل الحقائق العقلية في كل إنسان مهما كان، فالله تعالى يجعل للمؤمنين نوراً يكرمهم به ليتفضل عليهم برؤيته سبحانه بمقدار ما تطمئن به قلوبهم، كل على قدره. قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ الصافات ١٦٤، ولما كانت الأبصار تقتضى وجود الحقيقة مقابلة لها مفصولة عنها، وأشعة من النور تنكسر على تلك الحقيقة في أفق خال من الحجاب حتى يحصل المراد من الرؤية وهو الكشف والعلم، وكان الوهم والخيال يحتاجان إلى استخدام البصر ليقوما بوظيفتهما، كانت رؤية الله تعالى بتلك الكيفية مستحيلة، ومنكرها ممن وقفوا عند هذا الحد لهم العذر، فإن إثباتها لا يقبله العقل المكتسب بتلك الكيفية.

فإذا نظرنا بعيون الإيمان إلى أن القادر الذي جعل عيوناً ترى تلك الحقائق بالوسائط التي وضعها سبحانه وتعالى، قادر أن يهب لأهل محبته نوراً يرون به ربهم، تنزه وتعالى عن المثل والنظير والشبيه، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ الأنعام ١٠٣، أى لا تحيط بكنهه الأبصار مطلقاً، لا أبصار الرؤوس ولا أبصار العقول ولا أبصار

الأرواح ﴿وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ كلها لأنه سبحانه هو الذى خلقها بعلم وقدره وحكمة وإرادة، قال سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ الملك ١٤، أى كيف لا يعلم الرب جل ثناؤه من أنشأه من العدم، وكيف يخفى عليه من خلق، وهو اللطيف بعباده الخبير بهم وبأعمالهم وما تكنه صدورهم.

دليل رؤية الله تعالى من الكتاب

وأثبت سبحانه الرؤية بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ۖ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ القيامة ٢٢-٢٣، فأثبت جل جلاله أنه يهب جمالاً ونوراً لأهل محبته، حتى تكون وجوههم ناصرة بما يتفضل عليهم به من مزيد الإحسان، قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس ٢٦، فالحسنى النعيم المقيم للجسم والمسرات الدائمة للحس. والزيادة رؤية الوجه العلى الكريم بما جعله الله تعالى للعبد من النضرة.

ومن ذاق طهور قوله ﷺ في الحديث القدسى: (كنت سمعه الذى يسمع به، وبصره الذى يبصر به) يعتقد أن المؤمن يرى ربه فى الدنيا يقظة ومناماً، ويراه يوم القيامة عياناً، وكل على قدره، وإنما هى طمأنينة القلب التى تحصل للمؤمن كما تحصل لمن رأى حقيقة ما يعينى رأسه، وما على العبد المؤمن الذى منحه الله التسليم والذوق والفقه، إلا أن يقول كما قال الراسخون فى العلم: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ آل عمران ٧، خصوصاً بعد أن أشهده خواص تلك الكائنات التى اخترعتها العقول واستخدمتها للنفع العام، مما أودعه سبحانه فى العقاقير الطبية وفى المعادن وغيرها، ومما رأته الأبصار من البأس الشديد فى الحديد والنفع للناس مما كان يجهله الإنسان. وقد انكشفت للعقول آيات كثيرة كانت خفية فى طى تلك الكائنات، أخبرنا عنها العلى المجيد فى آيات لا تحصى.

ومن أشهده الله تعالى حكمة رفع السماء بغير عمد، وحكمة تسيير الأفلاك، وتصريف الرياح وتسخير السحاب، وما فى الأرض وفى الأجواء والسموات من الآيات والخواص، كل تلك الآيات المنكشفة لأهل الإيمان تجعلهم يعتقدون تمام الاعتقاد أن الله تعالى يكشف عنا حجاب البين، ويحملنا بنضرة وجوهنا ووضاءتها وبهائها بما يتفضل به علينا من كمال

معرفتنا بأنفسنا التي جعلها سبباً لمعرفة سبحانه وتعالى، فإن العبد المؤمن يعلم من الله تعالى بقدر ما علم من نفسه ومن خلقه، وبقدر ما يعلم من الله تكون وضاءته وجماله ونضرتة، فيرى ربه عياناً بعد رؤيته سبحانه بياناً.

وقد علمت أن الإيمان هو التصديق، وأن فوق الإيمان علم بالمؤمن به، وفوق العلم ذوق، وفوق الذوق رؤية، وفوق الرؤية شهود، وفوق الشهود فناء عن الشهود، إعظاماً وإجلالاً لجناحه العلى، وتفريداً لحضرتة العلية بالقصد دون غيره، وفوق ذلك مقام الرضا عن الله، ويلى الرضا التوكل عليه سبحانه، ويلى التوكل تفويض كل الأمور إليه جل جلاله، فمن كان مقامه الإيمان وأنكر خبراً من أخبار رسول الله ﷺ نفى الإيمان عن نفسه؛ فإن الصادق لا يُتهم بالكذب في أخباره، وقد يلعب إبليس بعقول بعض المؤمنين فينكر تأويلاً، ومتى وجد إبليس منفذاً يدخل منه في قلب المؤمن أفسد عليه القلب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ آل عمران ٧-٨، ثم أخبر عن الراسخين في العلم أنهم: ﴿يَقُولُونَ ءَأَمْنَابِهِ كُلُّ مَنْ عِنْدَ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ رَبَّنَا لَا تُفِخْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ آل عمران ٧-٨.

وهذا ما أدب الله به الراسخين في العلم. والسلامة كلها في اتباع السلف في هذه المواضع التي هي محل الاختبار والامتحان، وكيف لا والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ الشورى ١١، فنفى المثلية عنه سبحانه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله، فمن شبه الخالق بال مخلوق وحكم على الخالق العظيم بما يحكم به على المخلوقين؛ أخطأ وأساء الأدب.

وقد ثبت جواز الرؤية بطلب كلیم الله ﷻ بقوله: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ﴾ الأعراف ١٤٣، ورسل الله معصومون من خطأ طلب المستحيل، ورد الله تعالى عليه بقوله: ﴿لَنْ تَرِنِي﴾ الأعراف ١٤٣، لأن الله سبحانه لم يمنحه القوة على تحمل الرؤية كما منحه القوة على تحمل الكلام، بدليل أنه لم يقو على رؤية تجلى ربنا جل جلاله للجبل بقدر الجبل، فدك الجبل وصعق الكليم ﷻ.

ولكن الله وهب لحبيبه ومُصطفاه ﷺ القوة على تحمل الرؤية، فرأى ربه عند ربه،

مُطمئن القلب ثابت العقل والجسم والحس.

وقد أخبرنا الله تعالى بأن رؤية الملائكة لا تطيقها القوى البشرية إلا بقدرته من الله تعالى يتفضل بها على أنبيائه ورسله، بها يتيسر لهم رؤية الملائكة والسماع منهم، ومن لم يهب الله له تلك القوة لا يطيق رؤية الملائكة، قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حَجْرًا مَّحْجُورًا﴾ الفرقان ٣١، بل لا يطيق رؤية الجن، لا بل قد يفزع ويهلع ويجزع إذا رأى حيواناً مفترساً قريباً منه، فيغمى عليه من الهلع، مع أننا نرى أن بعض الرجال يهاجمون السباع في غاباتها، وبعض الأولياء يُسخر الله لهم تلك الوحوش، وكل ذلك بما يتفضل به من القوة على العبد.

المسلم يحفظ رتبته

والأولى أن يحفظ كل مسلم رتبته التي أقامه الله فيها.

فأهل الإيمان يلزمون التصديق بما جاء به رسول الله ﷺ من أخبار البعث والحشر والميزان والصراف والجنة والنار والرؤية وغيرها.

وأهل الإحسان يلزمون مرتبتهم من رعاية آداب الله، وآداب رسول الله ﷺ وآداب الاتباع.

وأهل الإيقان يلزمون مرتبتهم من المراقبة لجلال الله تعالى، ورعاية عظمة وكبرياء وتنزيه الحق جل جلاله، والقيام بحقوق العبودية على صراط الله المستقيم، محافظة على اتباع سيد المرسلين ﷺ؛ لأنهم من أهل محبة الله تعالى.

ومن سوء الأدب أن يتعدى أهل مقام الإيمان حدود الأدب، فيطمعون فيما تفضل الله به على أهل الإحسان، فإذا لم ينالوا أنكروا وأولوا. الجنين في بطن أمه لا يمكنه أن يتصور الدنيا حتى يراها، وكذلك الطفل لا يمكنه أن نجعله يتصور لذة الوقاع لأنه ليست له تلك القوة التي يدرك بها، وكم أهلك التأويل رجالاً رمى بهم إلى هاوية البعد والقطيعة. منحناً الله

تعالى التسليم في مقام الإيمان، والذوق في مقام الإحسان، والرؤية في مقام اليقين، حتى تطمئن قلوبنا في كل مرتبة، فنكون من الذين أثنى الله عليهم بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ﴾ الزمر ٢٣، وقال سبحانه: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ الزمر ١٧-١٨.

قبس من المضمون

الإسلام دين الفطرة والكرامة

إن الله قد سخر للإنسان ما في السماوات وما في الأرض جميعاً منه، ولم يسخر لنا السماوات ولا الأرض إذ لم يجعل لنا قدرة على قلب حقائق أعيانها، وصدق الله العظيم، فإننا والحمد لله قد انكشفت لنا الخواص التي هي في السماء والأرض من المنافع التي بها نبيل كمالنا البشرية، والفوائد التي بها تمكيننا في الأرض ونبيل أمانينا؛ فظهر لنا ما في الحديد من البأس الشديد، والمنافع لنا بعد أن كنا لا نعلم ذلك بالتفصيل، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ الحديد ٢٥.

ولم تنكشف لنا تلك الأسرار إلا بتربية العقل بالصناعات والفنون واستعماله في التجارب، حتى وصلنا إلى أن سخر لنا ما في السماوات وما في الأرض، فإذا كنا نبليج بالعقل هذا المبلغ من الطيران في الهواء، والعيشة تحت الأمواج المتلاطمة في البحار العظيمة، وقطع المسافات الشاسعة في الفدافد والوهاد، وفي نجاد الأرض وبطائحها، وأمکننا أن نسمع صوت من بيننا وبينه عشرات الفراسخ، بسبب أعمال العقل من دون أن ننكر شيئاً من ذلك، بل وأمکننا أن نعلم النسب الكائنة بين الأفلاك ومقادير أجرامها وأوقات قرانها، وما هو أخفى من ذلك بسبب العقل، فلا معنى لإنكار ما فوق ذلك.

لنا كل تلك الخيرات بالإسلام، لأن المجتمع قبل الإسلام كان في اختلاف، بعضه

يقدم إنساناً فيعبده، وبعضه يقدم كوكباً فيعبده، وبعضه يقدم الأتار والبهار فيعبدها، وبعضه يقدم الأجار فيتخذ منها التماثيل ويعبدها.

وكانت الصناعات قبل الإسلام قاصرة على ما صنعه سيدنا داود عليه السلام من الآلات الحديدية، ونهاية ما بلغه الإنسان أن المصريين أتقنوا صناعة الهندسة والعمارة والطب خصوصاً الرمد، والفينيقيين تعلموا بناء السفن وسافروا في البهار، والآشوريين والبابليين تعلموا فن الزراعة وعلوم الفلك، واليونان برعوا في فن التربية والسياسة والحروب فاستعبدوا كثيراً من الأمم.

وجاء الإسلام والعالم أجمع بين مُستعبد لبعضه، أو عابد لإنسان أو لحيوان كعباد العجل الذين كانوا في مصر وفي الهند، أو عابد لكوكب، وكل قوم يقدمون معبودهم، فلما أشرقت شمس الإسلام عرف المسلم قدره، وتحقق أنه ليس فوقه إلا الله، فاحتقر كل تلك الحقائق المعبودة، وسخر كل شئ لنفسه، وكان جنوب أوروبا مستنيراً بنور الإسلام، فسرت تلك الأنوار أولاً إلى فرنسا بواسطة ابن رشد، وبما نشرته الأندلس عليها بواسطة مبادلة التجارات بين الأمتين، فنفذ العقل من تلك الظلمات حتى علم أن له السلطان على كل الكائنات، ولولا إهمال المسلمين في الواجب عليهم لدعوة الدين والجهاد، لكانت أوروبا وأمريكا أعظم جنود للإسلام.

أخذت أوروبا من الإسلام أن الإنسان هو المتصرف وحده في الممالك الثلاثة، المملكة الجهادية والنباتية والحيوانية، وانتشر بينهم معنى قوله: ﴿الْمَرْثُوا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ لقمان ١٠٢، ووجدوا المسلمين بينوا حقائق الأجواء والأرجاء وخواص الكواكب، وما فوق ذلك إلى العرش، فأخذوا كتب المسلمين من الأندلس ومصر والشام وبغداد وترجموها وانتفعوا بها في أمور دنياهم، ولكنهم حرموا نور الحق، فتركوا دينهم الذي كانوا عليه؛ لأن عقولهم التي اكتسبوها بالعلوم الإسلامية لم تُسلم بعبادة مخلوق، ولو أن نور التوحيد أشرق عليهم ببيان أهل المعرفة لفازوا بقسط عظيم منه، ولكنهم وقفوا عند حد حظهم العاجل، وإنى لأطمع أن تقوم عليهم الحجة وتتضح لهم المحجة فيفوزون بقسط

عظيم من التوحيد.

وسعادة الإنسان في الدنيا والآخرة متوقفة على الإسلام، وكل مجتمع لم يهتد للإسلام فهو شر على نفسه من الوحوش، وها هو تاريخ القرون القديمة والوسطى والحديثة برهان على صدق ما أقول.

يترنمون بالقرن العشرين ورفقه بالحيوان ورحمته بالماليك، والحقيقة أن العالم في هذا القرن أشبه بأهل جهنم، نزعت الرحمة من قلوبهم، وأصبح كل إنسان يسعى لضرر الآخر، وصارت كل أمة تسعى لخراب العالم.

وإنى لأعتقد أن الحيوانات الضعيفة في غابات الوحوش آمنة على نفسها أكثر من المجتمع الإنساني، وكيف لا وتلك الآلات الجهنمية تقذف بشواظ التيران على الإنسان فتلقى عليه الصواعق من الجو ومن البحار، وفي شوارع المدن وطرقاتها، وكل ذلك لمخالفة شرائع الإسلام، وسيجعل الله بعد عسر يسراً وبعد ضيق فرجاً.

دواء هذا المرض العضال

التصديق بيوم القيامة

التصديق بيوم القيامة ودوام ذكرها ومراقبتها، والأمة إذا نسيت يوم القيامة استطابت الإباحة، فسارع كل إنسان لخير نفسه من غير رحمة في قلبه ففشت أمهات البليات، وهي الحسد والطمع والحرص، ومن أنكر يوم الحساب أو نسيه سلبت منه العقيدة والمراقبة، فكان هو والكافر سواء، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ أَلَيْسَ أَلْيَوْمَ نَسَسَكُمْ كَمَا نَسَيْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ الجاثية ٣٤.

ومتى تذكرنا يوم الحساب عملنا له، وعملنا له يجعل لنا الخير في الدنيا والآخرة، فنقهر الباطل ونذل أعداءه. والله سبحانه وتعالى مع الذين اتقوا والذين هم محسنون.

بلغت أوروبا بما نالته من الإسلام من علم أن العالم مسخر للإنسان، وأن الله جعل

للإنسان العقل لينتفع به بكشف خواص المادة، فاخترعت بالعقل ما يضرها ولا ينفعها، فكيف إذا أظهر المسلمون لأوروبا أسرار النفس وما لها من الخير العظيم عند الله إذا هي زكت بالعقيدة الحقة والعبادة الخالصة والمعاملة الحسنة والأخلاق الجميلة.

بل وكيف بنا نحن المسلمون. إذا زكينا نفوسنا وغذيناها بالحكمة والمجد حتى تتخلص من حجب كثائف المادة ولوازمها، وتصفو من درن الشهوة ومقتضياتها، وتنفذ من أقطار السماوات والأرض، فتشرف على سواطع أنوار العزة والجبروت، وتلحظ ما هنالك من صفاء وبهاء وجمال وجلال وضياء.

لعلك تقول أنها تنال من الله تعالى ما به تتصرف في الملك والملكوت من إبداع بدائع صنع الله تعالى، وسواطع أنوار عجائب القدرة، ولوامع أسرار غرائب الحكمة، مما به تكون متصلة بالله مُنعممة بالنظر إلى وجهه الكريم، حاضرة معه آنسة على بساط قربه، آمنة من حجاب الحظ والهوى. قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ الأنعام ٨٢.

سلم يا أخى ولا تنكر أن الذى أبدع هذا الكون على غير مثال ومن غير آلات وأدوات، بل بكلمة منه جل جلاله، قادر أن يعيده كما كان نشأة أخرى، وأن الذى جعل العقل يرى ما فى المادة من تلك الخواص العجيبة فينتفع بها، قادر جل جلاله أن يكشف عنك حجاب النأى عنه، فتقع العين على العين من غير بين ولا ريب، وهو هو جل جلاله وأنت أنت. والذى جعل لك عينين ترى بهما ما حولك، وجعل لك عقلاً يرى ما حجب عنك من خواص تلك الكائنات به، قادر جل جلاله أن يجعل لك عينين ينعمك بهما برؤية وجهه الكريم.

واعلم يا أخى أن الجاهل عدو نفسه، فإنه ينكر الحق الجلى لعمى عيون قلبه، واستعد بالله يا أخى من إنكار أخبار الله تعالى وأخبار رُسله صلوات الله وسلامه عليهم، وجاهد نفسك أن تكون من أهل التسليم، واحذر أن تؤول أخبار الصفات، فإن إبليس أعادنا الله منه، أول بالقياس فعارض ربه بعد الأمر الصريح وقال: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ الأعراف ١٢، وكان هذا القياس سبب لعنه وطرده، أعادنا الله من هذا التأويل الذى تدعو إليه الشهوة والكبرياء والإعجاب بالرأى.

أخبرك ربك أنه يعيدك مرة أخرى، وضرب لك الأمثال بالأرض الميتة إذا أنزل عليها الماء أحيها رحمة منه سبحانه لتقبل منه وتقبل عليه - تقدر وتعالى - فاحفظ الأدب مع ربك، ولا يخرجك الكبرياء عن السمع والطاعة؛ فإنه سبحانه يقول: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ الشورى ١١، يعنى فى كل شىء فى ذاته وفى أسمائه وصفاته وفى أفعاله وأخباره، ومن حُرِّم التسليم حُرِّم كل خير، وقد قدمت لك أن العلماء الراسخين فى العلم سلموا كل الأمور لله فقالوا: ﴿ءَامَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ آل عمران ٣، لا تعجب ممن أنكروا البعث والرؤية، لأن الله سبحانه شنع عليهم، فقال تعالى: ﴿إِنَّ هُمُ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾

الفرقان ٤٤.

واعلم يا أخى أن الإنسان من حيث هو إنسان يستحق الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله بعنايته، ولو أن الإنسان من حيث هو إنسان يمكنه بحقيقته الإنسانية أن ينال هذا الحظ العظيم، لما وجدت على الأرض كافر بالله، والله تعالى يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ﴾ سبأ ١٣، ولكن الله تعالى يتفضل على من يشاء بما يجعله عبداً مسلماً لله مقبلاً عليه سبحانه، فإرأى إليه جل جلاله دليل قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ المجادلة ٢٢، وقال تعالى: ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ الحجرات ٧، فكتابة الإيمان فى قلوبنا، وتأيدنا بروح منه سبحانه، وتحبيبه الإيمان إلينا وتزيينه فى قلوبنا، كل تلك الحقائق نعمة منه تعالى زائدة على الحقائق الإنسانية، وعناية منه، ويتفضل بها على من يشاء من خلقه، بها نيل السعادة العظمى، وليست من فطرة الإنسان، إذ فطرة الإنسان النزوع إلى الشر، ومن وكله الله إلى نفسه - أعاذنا الله - كان شراً من الشيطان، وأضر من الحيوان المفترس.

وأنت يا أخى ترى بعينى رأسك آثار أولياء الله وآثار أعدائه، ولا فرق بين بنى الإنسان من حيث طول القامة وعرض الأظفار وقبول الصناعات، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ﴾ البقرة ١٠٥.

واحذر يا أخى أن تجلس مع من علمت ألسنتهم وجهلت قلوبهم، فإنهم دعاة الشر

وأبواب لجهنم، خصوصاً من زعموا أنهم حصلوا العلوم الدينية وهم لا يعلمون شيئاً، ومن أثبت لهم العلم أغضب الله تعالى، لأن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ فاطر ٢٨، وهم ينكرون الضرورى من الدين ليقيموا الحجة على جهلهم بجهلهم.

❖ فمنهم من ينكر بعث الأشباح.

❖ ومنهم من ينكر صفات المعانى، ويؤول ما ورد فى القرآن والحديث من الآيات.

❖ ومنهم من يتوسع فى مداراة الناس فيسارع فى أهل الكفر بالله ويتودد إليهم، وينسى يوم القيامة فينكر عذاب القبر والميزان.

❖ ومنهم من يتغالى حتى يخرج عن حدود الشريعة، فيشطح شطح التائبين غير خائف من الله.

كل ذلك يا أخى من معجزات القرآن، قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۗ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ ۗ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَوَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هود ١١٨-١١٩ وقال سبحانه: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًىهَا وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ السجدة

١٣.

فنسيان يوم القيامة يا أخى موجب للخلود فى الحطمة، والخلود لا يكون إلا لأهل الكفر بالله، إذا كان نسيان يوم القيامة موجباً للخلود فى نار الجحيم، فكيف يكون حال من ينكر يوم القيامة؟ أسأل الله أن يحفظنا من نسيان ذلك اليوم، وأن يذكرنا إذا نسينا.

دلائل رؤية الله تعالى من الأحاديث

عن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: نظر رسول الله ﷺ إلى القمر ليلة البدر فقال: (إنكم سترون ربكم عياناً كما ترون هذا القمر، لا تضارون فى رؤيته، فإن استطعتم ألا تغلبوا على

صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ﴾ ق ٣٩. أخرجه الخمسة إلا النسائي.

وعن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: إذا دخل أهل الجنة الجنة، يقول الله تعالى: تريدون شيئاً أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة، ألم تنجنا من النار، قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئاً أحب إليهم من النظر إلى ربهم تبارك وتعالى، ثم تلى هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ يونس ٢٦، أخرجه مسلم والترمذي.

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيت ربك تعالى؟ قال (نور أنى أراه). أخرجه مسلم والترمذي.

وسيلة النجاة يوم القيامة

بينت لك يا أخى ما ورد في الكتاب والسنة من أهوال يوم القيامة، وما جعله الله لأهل الكفر به، والمنافقين والمتساهلين بدينهم من أليم العذاب وشديد العقاب، مما لو تمثله المسلم لذاب خوفاً، ولو تذكره لما تلذذ بطعام ولا بشراب ولا بنساء، فكيف يا أخى لو غفل المسلم حتى وقع في هذا البلاء أو نسى حتى يدركه الموت؟ ووقف أمام ربه والشاهد عليه النبى ﷺ وجوارحه، وتحقق أنه لا رجوع بل ولا ملجأ ولا منجاة من الله إلا إليه.

تمثل أيها المسلم هذا الموقف متحققاً أنه لا بُد منه، ثم استحضر أن الموت مستور عنك وقته، لا يعلم الإنسان متى يحل به، ثم تمثل ما أعده الله لأهل الإيمان به من المسرات الدائمة والخيرات الباقية، والأنس برؤية وجهه العلى الجميل، مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، مما هو فوق ذلك يا أخى من نيل رضوان الله الأكبر، ومن الابتهاج في معية الله تعالى من سماع كلامه المقدس منه جل جلاله، وما هو فوق ذلك مما لا تفى به العبارة ولا تبينه الإشارة.

لعلك يا أخى إذا تمثلت هذا الفضل العظيم سارعت إلى مغفرة من ربك وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، شرح الله صدرك وسقاك جرعة من صافي شراب محبته،

وجعل لك نور تستبين لك به تلك الحقائق، حتى تكون ممن بشرهم الله تعالى بقوله: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاضِرَةٌ﴾ القيامة ٢٢، وقوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۖ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ عيس ٣٨-٣٩، وممن بشرهم الله تعالى بقوله: ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾ البينة ٨.



الوسائل

أنزل الله تعالى كتابه العزيز جامعاً لخيري الدين والدنيا مفصلاً لنا كل شئ تحتاج إليه في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿مَا فَرَطْنَا فِي الْأَكْتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ الأنعام ٣٨، ثم بين لنا رسول الله ﷺ بعمله وقوله وحاله هذا التفصيل وما أهم علينا من العقيدة والعبادة والأخلاق والمعاملات، بياناً جلياً أدركه كل إنسان مهما كان عقله وفكره، فصرنا والحمد لله ببيان رسول الله ﷺ فوق الملائكة مقاماً عند الله تعالى إذ أعاننا الله على فقه العقيدة وعلى القيام بالعبادة والتجمل بالأخلاق وحسن المعاملة، وما أيسرها على قلوب أهل التوفيق أهل الهداية لأن الله تعالى لم يكلف نفساً إلا وسعها.

الوسيلة الأولى

العقيدة: قد جمع الله لنا العقيدة في آية من القرآن وفي أقصر سورة فيه، فالآية قوله تعالى ﴿إِنَّمَا أَمْرٌ بِالرَّسُولِ ۚ بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ۚ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ۚ لَا تَفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ ۚ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ البقرة ٢٨٥ فمن صدق الله تعالى وصدق رسوله بما جاء في تلك الآية فهو مؤمن بالغيب وهو ممن بشرهم الله بقوله: ﴿أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ البقرة ٥، والسورة هي قوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۚ اللَّهُ الصَّمَدُ ۚ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۚ لَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص، فأخبرنا الله تعالى عن نفسه بنفسه وهو العالم بنفسه العالم بقدر عقولنا، أنه سبحانه وتعالى أحد، أي أنه منزه في ذاته وأسمائه وصفاته وأفعاله تنزيهاً يليق به، وأنه سبحانه وتعالى صمد أي غني عن ما يحتاج إليه خلقه وعن خلقه وكل من سواه مفتقر إليه، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ الإخلاص ٣، أي أنه على عظيم عن أن يحتاج في

وجوده الذاتى إلى سبب الوالد والوالدة، وكيف لا وكان ولا شئ قبله وبه قامت الأشياء وهو العلى الكبير الغنى بذاته عن الاحتياج إلى الولد، ثم قال سبحانه: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ الإخلاص ٤، فأخبر عن نفسه سبحانه أنه القاهر فوق عباده وأن خيرة خلقه من الرسل والملائكة والأرواح العالية كلهم عبيد مقهورون وعباد مربوبون مقهورون بقهار، فمن ظن أن الله كفوؤاً أو نظيراً أو مثيلاً كفر، وإذا صدق المسلم ربه فيما أخبر به عن نفسه فى الآية والسورة فهو من الناجين يوم القيامة، الذين يدخلون الجنة مع السابقين ما اجتنب الكبائر الموبقات، قال سبحانه: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكُفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ النساء ٣١.

الوسيلة الثانية والرابعة

العبادة والمعاملة: مبيتان بالتفصيل فى كتابى "أصول الوصول" و"الإسلام دين".

الوسيلة الثالثة

الأخلاق: هى السر الذى أرسل الله الرسل لأجله؛ لأنه سبحانه أودع فى الإنسان جوهرة روحانية نورانية ربانية لأجلها سخر له ما فى السماوات وما فى الأرض. وأراد سبحانه أن يقيم الإنسان خليفة له فى الأرض ليتم مراده الذى قدره من إيجاد الكون، جامعاً لأنواع الطهر، وهم الذين يطيعون فلا يعصون، وأنواع الخبث والشور؛ وهى النفوس الشريرة التى تعصى ولا تطيع، والعالم الوسط الذى خلقه بيديه ونفخ فيه من روحه، وجمع فيه بين أسفل السافلين وأعلى عليين، يعصى ويطيع.

فالنوع الأول هم الأرواح الطاهرة عمار ملكوت الله، والمحافين بعرش الله.

والنوع الثانى هم مردة الجن وأبالسة الشياطين.

والنوع الوسط الذى إذا كمل ارتقى إلى أعلى عليين، وإذا هوى انحط إلى حضيض الشياطين وهو الإنسان، قال تعالى: ﴿إِنِّي خَلَقْتُ بَشَرًا مِّنْ طِينٍ ﴿٧٦﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ

رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿ص ٧١-٧٢﴾، فسجد له الملائكة سجود محبة وتعظيم لأمر الله وإجلال لما فيه من معاني الصفات، وقهر الله حقائق السماوات والأرض وما فيها تسخييراً للإنسان.

وكمال الإنسان بما يرتسم على جوهر نفسه من العلوم، وبقدر ما تتصوره نفسه من أسرار تلك الحقائق ومما فيه، حتى يبلغ إلى مقام يتجمل فيه بأخلاق ربه بعد معرفة نفسه، وبمعرفة نفسه يعرف ربه، قال رسول الله ﷺ: (من عرف نفسه عرف ربه)، ومعنى ذلك والله أعلم أن النفس لها أعمال خاصة بها تفارق أعمال الأجسام من كل وجه، وتلك الأعمال جعلها الله تعالى إشارة يبين بها غيبه المصون للعقل، حتى يُراقب ربه في كل حركة وسكنة مراقبة تجعله حاضراً مع ربه، أو تجعله يعتقد أن الله تعالى معه، قال عليه الصلاة والسلام: (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) أخرجه البخاري.

وإنسان نال قسطاً من هذين المقامين يكون نجماً مضيئاً لأهل عصره، وغيثاً نافعاً للعباد بما يجعله الله من الأخلاق الفاضلة والعلوم النافعة والأحوال العلية، وإنما ميزان الرجال بأخلاقهم، فقد يكون الرجل فوق الملائكة قريباً من الله تعالى بعلمه وأخلاقه وأعماله وأحواله، وقد يكون شراً من إبليس لجهله وسوء خلقه وقبيح أعماله وأحواله، قال عليه الصلاة والسلام: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) وإليك وميضاً من ساطعة العرفان تكشف بها للعقل لا للروح حكمة أن معرفة الله متوقفة على معرفة النفس بطريق الإشارة.

معرفة الله متوقفة على معرفة النفس

بيان أول

خلق الله النفس واحدة، ومنحها القوة على تدبير الجسد مع تفاوت عناصره وتعدد الأضداد فيه وكثرة الانفعالات، إشارة منه سبحانه إلى أنه واحد أحد دبر الكون وقدر ما فيه وأبرز ما أراده، منفرداً غنياً عن الوزير والنظير والمعين والوكيل.

بيان ثان

خلق النفس قبل الجسد وأودعها فيه مدة حياته، ثم أماته وأبقاها ليظهر للعقل أنه الأول قبل خلقه، فلا افتتاح لأوليته، والآخر بعد فناء خلقه فلا انتهاء لآخريته، وتلك الحقيقة اتضحت بهذا المعنى للعقل جلية.

بيان ثالث

منح الله النفس قوة تعلم بها جميع الجسد وما فيه، وقدرة تدير بها شئونه فهي تسمع وتبصر وتتكلم ليقتبس العقل من صفاتها المخلوقة لله أن الذى وهبها يعلم سر خلقه وجهره، وهو علام الغيوب، والقادر على خلقه بقدرة عليّة وإرادة وقهر.

وبما قدمت لك من الإشارة في هذه البيّنات، يُمكنك أيها المسلم أن تنظر إلى نفسك فترى بقية صفاتها الدالة على كمال مبدعها، وعظمة من تفضل عليها فجعلها مرآة مجلوة تظهر لأهل الإيمان الكامل أسرار معرفة الله تعالى، فسبحان من أظهر آياته حجة للعقول، وأنواره راحاً للأرواح، وجمال وجهه العلى بهجة للمقربين، ومزيداً للفائدة أدير عليك رشفة من طهور معرفة أفعال النفس التى بها تعرف أفعال ربك جل جلاله.

أتكلم مع العقل بالحقائق لا بالمثال

تعلم أن للنفس إرادة يهبها الله تعالى لها عند إرادة ما قدره. تظهر تلك الإرادة في القلب الذى يمثل العرش، فتقوى تلك الإرادة حتى تصل إلى المخيخ الذى هو فى مؤخر الرأس، وهو مصدر الحركة والحس الذى يمثل الكرسي، فتظهر آثارها على الجوارح الخاضعة للنفس فينفذها بقدرة الله تعالى وسابق إرادته، والجوارح المجترحة تمثل الملائكة، ويسرى ذلك إلى الجسد فينفع بهذا الأثر، والجسد يمثل الأرض، فتحدث آثار تلك الإرادة التى نزلت إلى القلب بأكمل معانيها، كما ينزل الأمر إلى العرش ومنه إلى الملائكة ومن الملائكة إلى الأرض فيظهر ما شاء أن يظهره.

وبمعرفة تلك الحقيقة يعرف الفرد أفعال ربه التي تجلت له في نفسه، فأفعال النفس منها غيب وهو الإرادة وتأثيرها في الدماغ وفي الجوارح، ومنها ظهور، فالأول عالم الغيب والثاني عالم الشهادة، فسبحانه من أظهر بالنفس ما به اطمأنت القلوب وقبلت العقول، وكل صفات النفس وأفعالها مخلوقة مبدعة، والنفس مقهورة محدثة، ولكنها أمثلة جلية تقتبس منها العقول غوامض العرفان فتفوز بمعرفة ربه، فالنفس التي لها تلك الأفعال والمزايا مقهورة بقهر الله، يقهرها متى شاء، ويذلها ويعزها متى شاء ويرفعها، ليس لها تأثير ولا تصريف، وجهل من ظن غير ذلك، فالنفس والملائكة والأفلاك والعقول خاضعة لإرادة الله مقهورة بتدبيره، ليس لها تأثير ما في كائن من الكائنات، والفاعل المختار المؤثر هو الله، وإنما تفضل الله تعالى بتلك المزايا لتتضح للعقول أسرار فوق مقدارها، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُم أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ ﴿فصلت ٥٣﴾.

ظهر لك أن معرفة النفس تجعل العارف بها عارفاً بربه، وبذلك يتخلق بأخلاقه سبحانه، فيكون وهو في هيكله السفلى مع الله والله تعالى معه، ويكون وهو فوق تراب الأرض متنعماً برؤية ملكوت السماوات والأرض ليقوى يقينه.

ومن جهل نفسه جهل ربه فكان شيطاناً وشرراً منه، ووحشاً وأضر من الوحش، وليس من قهر بالنار والبارود فانطبع على الخير فإذا تمكن فجر، كمن راقب الله تعالى فأحسن إلى من أساء إليه ووصل من قطعه وأعطى من حرمه وتحمل البلاء في دعوة الخلق إلى الخير، وآثر أخاه على نفسه، وصبر على طاعة الله، ورضى عن الله في قضائه وقدره، وعاش حميداً ومات حميداً، وقليل ما هم.

الصلاة يا أخى عادة، والصيام صبر، والزكاة كرم، والحج جهاد، والأخلاق تُصدق أو تُكذب. وكم من صائم قائم عالم بالأحكام والدنيا أحب إليه من الآخرة، وكم من مجاهد يبتغى غير الله تعالى. والأخلاق حُجة الله القائمة لخلقته أو عليهم، قال عليه الصلاة والسلام: (ألا أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم منى مجالساً يوم القيامة؟ قالوا: بلى يا رسول الله. قال أحاسنكم أخلاقاً، الموطنون أكنافاً، الذين يألفون ويؤلفون) وقال عليه الصلاة والسلام:

(إن الله تعالى خلق آدم على صورته) وليس المراد أنه خلقه على صورة لها أبعاد وحدود وكم وكيف - تنزه ربنا جل جلاله - والمراد والله أعلم أنه جمّله بمعاني صفاته وجمال أخلاقه.

وقد رأينا تمييزاً لما بيناه من وصف الحياة الثانية وأدوارها، وتعميماً للنفع بهذا الكتاب أن نورد هنا شيئاً من ذكر الموت وما يليه، ولو أن هذا الباب معلوم ومشهور في كتب الفقه، إلا أنه أول خطوة من خطوات الآخرة، فيجب أن نذكر عنه شيئاً ضمن ما نورده من تفصيل النشأة الثانية.

خاتمة الحسنى

الموت هو مفارقة كون الفساد والرجوع إلى دار البقاء، وهو نهاية الرحلة وبداية الاتصال بعالم البرزخ، فإذا نزلت علاماته تعين على المسلم أن يوصى وهو في بداية المرض، وأن يحسن ظنه بالله تعالى طامعاً في عفوه ومغفرته وإحسانه، وأن يعتقد أنه مُقبل على رب كريم لا تضره المعاصي ولا تنفعه الطاعات.

ويتعين على الذين يتولون خدمته أن يديموا له البشائر بوسع رحمة الله وعظيم عفوه وعميم إحسانه، حتى يفرح ببقائه سبحانه، فإذا غمرته سكرة الموت أسمعوه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " تلقيناً، ويقوم بهذا التلقين صالح محبوب له، ويجب أن يمنع عن زيارته أعداؤه ومن صحبوه في المعاصي، ويجب أن لا تُرفع الأصوات أمامه في هذا الوقت باليأس أو بالقنوط أو ما يحزن كقولهم: (ترك أولادك لمن؟) أو (من يقوم بشأن أهلك) من الألفاظ التي تكره الإنسان في الموت، والأولى قراءة سورة يس، وتكرار قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ يس ٢٦-٢٧.﴾

ومن الرحمة بالميت حال الاحتضار بعد أقاربه المنزعجين عليه الذين يقولون ويعملون عمل الجاهلية، ليفارق الدنيا فرحاً بقاء الله تعالى غير آسف على مفارقة شيء فيها، فإذا انتهى النفس الأخير خُتم على عمله، وبقي الواجب على أهله وأقاربه.

أول واجب على الحاضرين لمن في النزع

يجب أن يلقنوه " لا إله إلا الله محمد رسول الله " ، لتكون آخر كلمة ينطق بها أو يسمعها إن خرس لسانه، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لقنوا موتاكم لا إله إلا الله) أخرجه الخمسة إلا البخارى .

والمعنى والله أعلم أن يلقن كلمة التوحيد حال النزع قبل الموت وبعدها تقرأ سورة يس، والظاهر أن قراءتها في حالة النزع أولى، لسمع الميت قوله تعالى: ﴿يَلَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ بِمَا غَفَر لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿ يس ٦٢-٢٩، فعن معقل ابن يسار رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (اقرأوا على موتاكم سورة يس) أخرجه أبو داود، فإذا قرأناها حال الموت وبعده كان أكمل.

آداب الجالسين حول الميت عند مفارقة الروح

المسارعة إلى تغميض عينيه، والدعاء له بخير، وسرعة قول: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ البقرة ١٥٦، (اللهم أجرني في مصيبتى، وأبدلني خيراً منها، وأبدله أو أبدلها خيراً منى، فردوسك الأعلى ورضوانك الأكبر والعفو والغفران) وقهر النفس عند الصدمة الأولى، وترك الجزع والهلع، والصخب والدعاء على النفس والمال، فإن الملائكة تنزل في هذا الوقت فتؤمن على الدعاء، فعن أم سلمة رضی الله عنها قالت: (دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شن بصره، فأغمضه ثم قال: إن الروح إذا قبض تبعه البصر. فضج ناس من أهله، فقال: لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون، ثم قال: اللهم اغفر لأبى سلمة، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين وأفسح له في قبره، ونور له فيه) أخرجه الخمسة إلا البخارى .

حُسن الخاتمة

المؤمن عند سكرات الموت تنزل عليه الملائكة وهو في شديد الخوف وعظيم الحزن، فيقولون له: ما الذى أخافك يا عبد الله؟ فيقول أخاف ذنوبى وعقوبة ربى؟ فيقولون له: أبشر بخير فإن ربك قد غفر لك، وأعد لك ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على

قلب بشر من النعيم المقيم. ويقولون له: علام تحزن؟ فيقول أحزن على أهلى وأولادى وأقاربي، فيقولون له: يا عبد الله لا تحزن فالله وليك عليهم ووكيلك، فيفرح المؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهَى أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نَزَّلْنَا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ فصلت ٣٠-٣٢.



حالة المؤمن عند الموت

عند سكرات الموت تحضر ملائكة الرحمة وفي أيديهم حريرة بيضاء، ويبشرون الروح برضوان الله تعالى وحبه جل جلاله في لقاءها ورجوعها إليه، ويقولون لها: ارجعي إلى ربك راضية مرضية، فتخرج الروح فرحة بقاء ربها، فتحمل على الحريرة البيضاء، وينتشر منها أطيب من ريح المسك يشمه الملائكة وأهل القرب من الله تعالى، فتتناولها الملائكة حتى تصل إلى السماء فتفتح لها أبواب السماء، ويتعجب ملائكة السماء من ريحها، حتى تصل إلى أرواح المؤمنين فيستقبلونها ببشاشة ومسرة، ويتبادرون إليها ليسألونها عن أهلهم وأقاربهم، ثم يقول بعضهم لبعض: دعوها فإنها كانت في هم الدنيا، فإذا قالت لهم: إن فلاناً قد مات. فهل جاءكم؟ فيقولون: لم يأتنا، ولكن رُد إلى سجين. فيكون بحسب مقامه إما في جوف طير أخضر يرعى في بساتين الفردوس أو في عليين، أو في ظلال صور الرحمة حتى تقوم القيامة.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا احتضر المؤمن أتت ملائكة الرحمة بحريرة بيضاء فيقولون: اخرجي راضية مرضياً عنك إلى روح الله وريحان، ورب غير غضبان، فتخرج كأطيب ريح مسك حتى إنه ليناوله بعضهم بعضاً، حتى يأتوا به أبواب السماء، فيقولون: ما أطيب هذه الريح التي جاءتكم من الأرض، فيأتون به أرواح المؤمنين، فإنهم أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه، فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ فيقولون: دعوه فإنه كان في غم الدنيا، فإذا قال: فلان قد مات ما أتاكم؟ قال: ذهب به إلى أمه الهاوية...).

سوء الخاتمة أعاذنا الله منها جميعاً

هى أشر عقبة تعترى:

❖ أهل الكفر والنفاق.

❖ أهل الكبائر من العاقين لوالديهم والقاطعين للأرحام.

❖ قاتلى النفس التى حرم الله قتلها.

❖ الظلمة الذين يظلمون عباد الله.

❖ المستحلين فروج الأجنب، وخصوصاً من الجيران والأقارب، أعاذنا الله من شر تلك الخطايا.

❖ المدمنين على شراب الخمر.

❖ الذين يقتلون أنفسهم باستعمال ما يفسد العقول ويجفف الأدمغة ويمزق أغشية القلب، بتعاطى العقاقير المخدرة كالأفيون والبنج والمركبات التى تحرق المعدة والمعى، لتحصل لهم القوة على وطء النساء.

❖ وكذلك الذين يقتلون أنفسهم بشم السموم القاتلة كالكوكايين وتعاطى المورفين وغيرهما، مما اخترعه أعداء الله وأعداء رسوله وأعداؤنا الإفرنج، واستعملوه فى الحروب لقتل أعدائهم، وقد نشره بين أهل الجهالة بالدين ليهلكوهم بسلب أموالهم وعقولهم وإفساد صحتهم أعاذنا الله من هذا البلاء.

❖ والذين يقتلون أنفسهم بصحبة أهل الجهالة الذين يدعون الولاية والإرشاد فيأمرونهم بالخلوة وترك الطعام والشراب، ودوام الذكر من غير رعاية الصحة والآداب الشرعية، فيفسدون أمزجتهم، فيقوى الخيال والوهم حتى يفقدوا العقول ويكونون ضرراً على المسلمين؛ فإن المجاهدة من غير ملاحظة آداب الشريعة تصفو بها النفس من الاشتغال

بتدبير الجسم، فيتسلط سلطان الشهوة والهوى، ويتمكن إبليس من هذا المسكين، فيخيل له ما به يظن أنه ولى أو نبي، أو المهدي المنتظر، أو هو الرب النافع الضار، لما يجلى لنفسه من وميض الغيب الكونى، وهؤلاء أشبه بالسحرة والكهنة، والنجاة من هذه البلايا كلها صحبة أهل العلم العاملين المخلصين اقتداءً بسلفنا الصالح.

كل تلك الأنواع تصيبهم فاجعة سوء الخاتمة، لأن الحجاب إذا كشف عند الموت ظهر للميت بطلان عمله، وقد فات وقت التوبة. وإنما هو معلوم علمه وعمله وصورة الإخلاص في العمل، ومطابقة ذلك العمل لنصوص الشريعة، فإذا انكشف الحجاب عن بطلان العمل لعدم الإخلاص، أو فساده لمخالفة رسول الله ﷺ حصل اليأس، أعاذنا الله من مخالفة رسول الله ﷺ ومن العمل بغير إخلاص، قال ﷺ في ذكر موت الكافر في بقية الحديث السابق: (وإن الكافر إذ احتضر أتته ملائكة العذاب بمسح، فيقولون: اخرجى ساخطة مسخوطاً عليك إلى عذاب الله، فتخرج كأنتن ريح جيفة، حتى يأتون به باب الأرض فيقولون: ما أنتن هذه الريح حتى يأتون به أرواح الكفار) أخرجه النسائي.

جواز البكاء عند الموت وبعده

إن الله سبحانه وتعالى أودع في قلوب أهل العناية رحمة تقهر أهلها عند مقتضياتها.

وأعظم مقتضيات تلك الرحمة وقت الموت، فإن الإنسان لا يقدر أن يزيل عن المحتضر من سكرات الموت، ولا يطيق الصبر على ما يراه فيبكي مقهوراً، وهذا البكاء دليل الرحمة ولم تحرمه الشريعة، فجريان دموع العين والتهاب القلب بنار الحزن، ورفع الصوت بالنشيج والتأوه ليس بمحرم، وخصوصاً إذا كان المتوفى من أهل العلم والعمل الذين جعلهم الله أنجم هدى للأمم، من بفقدهم يفقد الناس العلم والبيان والبركة.

والصبر في هذا الوقت هو الصبر على ترك عمل الجاهلية من خمس الوجوه، وشق الجيوب، والعيويل بالويل والثبور، والدعاء على النفس والمال، فمن دمعت عيناه وحزن قلبه وارتفع صوته بالبكاء من غير كلام لشدة الحزن على الفقيدهم فذلك ما لا طاقة لذي قلب

رحيم على تركه، فإن الإنسان إذا اشتد عليه حزن القلب ولم تدمع عيناه ربما أصابه مرض قلبى أفسد عليه صحته، والله أرحم الراحمين بخلقه، وكم دمعت عينا رسول الله ﷺ عند موت بعض أصحابه.

دليل ما قرناه

بينت أن البكاء عند الموت وبعده، جائز ما لم يخرج إلى خمش الوجوه، أو شق الجيوب، أو العويل بما يكرهه الله تعالى، ودليل ذلك عمل رسول الله ﷺ وقوله.

فعن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث طويل قال فيه: (ثم دخلنا عليه بعد ذلك وإبراهيم يجود بنفسه، فجعلت عينا رسول الله ﷺ تدرفان، فقال ابن عوف: وأنت يا رسول الله؟! فقال: يا ابن عوف إنها رحمة، ثم أتبعها بأخرى فقال: إن العين تدمع، وإن القلب يخشع، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا، وإنا بفراقك يا إبراهيم لمحزونون) أخرجه الشيخان وأبو داود.

عن ابن أبي مليكة، قال بعد كلام عن ابن عباس: لما أصيب عمر رضي الله عنه دخل صهيب رضي الله عنه يبكي ويقول: وأخاه واصحابه فقال عمر رضي الله عنه: يا صهيب أتبكي عليّ وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقال ابن عباس رضى الله عنهما: فلما مات عمر رضي الله عنه ذكرت ذلك لعائشة رضى الله عنها، فقالت: يرحم الله عمر، لا والله ما حدث رسول الله ﷺ أن الميت ليعذب ببكاء أهله، ولكن قال: (إن الله ليزيد الكافر عذاباً ببكاء أهله عليه) ثم قالت حسبكم القرآن ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ الأنعام ١٦٤. أخرجه الشيخان والنسائي.

وعن عائشة رضى الله عنها وذكر لها أن ابن عمر رضى الله عنهما يقول: (إن الميت ليعذب ببكاء أهله عليه) فقالت: يغفر الله لأبى عبد الرحمن، أما إنه لم يكذب ولكنه نسى أو أخطأ، إننا مر رسول الله ﷺ على يهودية يبكي عليها فقال: (إنه ليبكي عليها وإنها لتعذب في قبرها). (أخرجه السنة إلا أبو داود).

وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال: (مات ميت من آل رسول الله ﷺ فاجتمع النساء يبكين عليه، فقام عمر رضي الله عنه ينهاهن ويطردهن، فقال رسول الله ﷺ: دعهن يا عمر فإن العين

دامعة، والقلب مصاب، والعهد قريب) أخرجه النسائي.

وعن عائشة رضى الله عنها أن النبي ﷺ قبّل عثمان بن مظعون وهو ميت، وعيناه تدرفان. أخرجه أبو داود والترمذى.

وعن أنس رضى الله عنه قال: (قنت رسول الله ﷺ شهراً حين قتل القراء، فما رأيت رسول الله ﷺ حزن حزناً قط أشد منه) أخرجه الشيخان.

النهي عن البكاء على الميت

قد يظن القارئ أننا بينا جواز البكاء على الميت، وليس الأمر كذلك، فالبكاء الجائز على الميت محصور في حزن القلب ودمع العين، هذا ما لا يطيق الإنسان منعه عنه، حتى لو ارتفع الصوت من غير أفاظ.

أما البكاء المنهى عنه فخمس الوجوه وشق الجيوب والنعى والتعديد، بأن يجتمع النساء في دار الميت بعد موته ويجلسن يعددن صفاته ويصحن، أو يجتمع الرجال فيرفعون أصواتهم بالعويل وذكر مآثر الميت مما هو واقع الآن؛ كلياى التآبين عند الرجال، وأيام البكاء عند النساء، وتلك المجتمعات مبعوضة من الله تعالى، وهى مجتمعات شيطانية، وهذا هو البكاء المنهى عنه.

وبهذا جمعنا بين جواز البكاء والمنهى عنه، وإلا فمن يصبر عندما يرى والده أو أحد أقاربه في سكرات الموت ولم تدمع عينه أو يحزن قلبه؟ أو يراه محمولاً إلى مضجعه الأخير ويصبر، فلا تدمع عينه، ولا يحزن قلبه، فهذا ليس بصبر وإنما هو جفاء وقسوة.

إذا فقد تبين لك وجه الجواز ووجه النهى.

حجة النهى عن البكاء

عن أم سلمة رضى الله عنها قالت: (لما مات أبو سلمة رضى الله عنه قلت: غريب وفي أرض غربة لأبكيه بكاء يتحدث عنه، فكنت قد تهيأت للبكاء إذا أقبلت امرأة تريد أن تسعدنى،

فاستقبلها رسول الله ﷺ فقال: أتريدين أن تدخلى الشيطان بيتاً أخرجته الله تعالى منه؟ فكففت عن البكاء فلم أبك) أخرجه مسلم.

وعن جابر بن عتيك قال: (جاء رسول الله ﷺ يعود عبد الله بن ثابت، فوجده قد غلب عليه، فصرخ به فلم يجبه، فاسترجع وقال: غلبنا عليك أبا الربيع، فصاح النساء وبكين فجعل ابن عتيك ﷺ يسكتهن فقال ﷺ: دعهن يبكين فإذا وجب فلا تبكين باكية، قالوا: وما وجب؟ قال: إذا مات. فقالت ابنته: والله إن كنت لأرجو أن تكون شهيداً، فإنك قد قضيت جهازك، فقال ﷺ: إن الله قد أوقع أجره على قدر نيته، وما تعدون الشهادة فيكم؟ قالوا: القتل في سبيل الله تعالى، قال إن شهداء أمتي إذاً لقليل: المطعون شهيد، والغريق شهيد، وصاحب ذات الجنب شهيد، والمبطون شهيد، والحريق شهيد، والذي يموت تحت الهدم شهيد، والمرأة تموت بجمع شهيدة) أخرجه الأربعة إلا الترمذى.

وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال: (عاد رسول الله ﷺ سعد بن عبادة فوجدوه في غشيتته فقال: قد قضى، قالوا: لا فبكى ﷺ، فلما رأى القوم بكاءه بكوا. فقال ألا تسمعون؟ إن الله لا يعذب بدمع العين ولا بحزن القلب، ولكن يعذب بهذا - وأشار إلى لسانه - أو يرحم) أخرجه الشيخان.

وعن ابن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: (ليس منا من ضرب الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية) أخرجه الخمسة إلا أبا داود.

وعن النعمان بن البشير رضى الله عنهما قال: (أغمى على عبد الله بن رواحة ﷺ فجعلت عمرة أخته تبكى واجبلاه واجبلاه واكذا واكذا، تعدد عليه فلما أفاق قال: والله ما قلت من شيء إلا قيل لى: أهكذا كنت؟ قيل: فلما مات لم تبك عليه) أخرجه البخارى.

وعن جابر ﷺ قال: (أخذ رسول الله ﷺ بيد عبد الرحمن بن عوف فانطلقوا إلى ابنه إبراهيم فوجدوه يجود بنفسه، فأخذه ﷺ في حجره فبكى، فقال له عبد الرحمن: أتبكى؟ أولم تكن نهيت عن البكاء؟! قال: لا، ولكن نهيت عن صوتين أحق من فاجرين: صوت خمش

وجوه وشق جيوب ورنه شيطان) أخرجه الترمذى.

فمن هذه الأحاديث الشريفة يظهر لك أن المنهى عنه تجاوز الحد في البكاء، أما دمع العين وحزن القلب والانفعال الشديد لصولة الأسف على القلب، فذلك مما لا تنهى عنه الشريعة قال تعالى: ﴿لَا يَكْفُرُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ البقرة ٢٨٦.



الغسل والكفن

الغسل

إذا مات المسلم سُئِنَ على وليه أن يغمض عينيه، ويوجه وجهه للقبلة، ويجعل يديه ورجليه مستقيمة، ويقرأ سورة يس ثم يسترجع بقوله: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ ويأمر بها من معه، ثم يسرع في تجهيزه وغسله بالماء والسدر (ورق التبغ) وغاز بكل مطهر كالصابون، والأولى أن يعصر بطنه، ويغطي محل العورة بثوب، ويغسل ويتحرى التشديد في طهارة المواضع الغائرة، كبين الفخذين، وتحت الإبطين، وبين أصابع الرجلين، ويحنت الميت بوضع الطيب في أسفله، ويصب الماء ثلاثاً أو خمساً مع ذلك، ويسد الأنف والمخارج.

الكفن

الكفن: هو ما يدارى به جميع الجسد من الثياب إكراماً للإنسان وحفظاً لجسده من سرعة التعفن. ولما كان الميت في حاجة إلى العفو والرحمة فالأولى بولى أمره أن يجعل الكفن من حلال طيب، وأن يكون من نوع مباح شرعاً، وكلما كان أقل في القيمة كلما كان أفضل للميت، وأبعد عن الرياء والإسراف، وما يعمله المغرورون بالدنيا من المغالاة في الكفن وجعله من حرير، أو محلى بالذهب أو الفضة، أو من زخرفة القبر وبناء القباب عليه والمحجرات حوله والتأنيق في فراشه وزخرفته فذلك من عمل الجاهلية.

والسنة في الكفن خمسة أثواب: أزار، والإزار: كتوب الإحرام للرجل، ودرع: وهو

كالقميص الذى يغطى جميع جسده، والخمار: وهو ما يغطى الرأس وما دونها.

والملحفة: وهو ما يلتحف به فيغطى جميع الجسد، ثم يلف في ثوب خامس، والأفضل أن يكون الكفن من الثياب الأبيض.

عن ليالى بنت قائف التففية قالت: (كنت فيمن غسل أم كلثوم بنت رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ عند الباب معه كفنها يناولنا ثوبا ثوباً، فأول ما أعطانا الحقو، ثم الدرع، ثم الخمار، ثم الملحفة، ثم أدرجت في ثوب آخر) أخرجه أبو داود.

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (لا تغالوا في الكفن فإنه يسلب سلباً سريعاً) أخرجه أبو داود، وأقل الكفن ثوب واحد، ووسطه أزار وقميص وثوب يلف فيه.

تشيع الجنازة

قد ورد النهى عن المشى أمام الجنازة، وورد أن النبي ﷺ وأبا بكر وعمر رضى الله عنهما مشوا أمامها، وورد أن المشيع للجنازة له أن يمشى أمامها وخلفها ويمينها وشمالها، وكل ذلك واسع، وورد أن الراكب يمشى خلف الجنازة، وقد فصل أهل العلم هذا الموضوع فقالوا: إن كان الميت من أهل الخير قدموه أمامهم سائلين الله أن يلحقهم به، وإن كان الميت من أهل المعاصى تقدموه سائلين الله أن يغفر له ويرحمه.

وورد النهى عن رفع الأصوات في تشيع الجنازة، والنهى عن وجود النار أمام الميت أو خلفه، وورد أن تشيع الجنازة وحملها وفاء من الحى بحقوق الميت، وما يعمله من حرما العبرة بالميت من تقديم المباخر والموسيقى ورفع الأصوات بالأذكار، وغيرها من البدع الدالة على غفلتهم ونسيانهم واجب الوقت، دليل على عمى البصيرة - حفظنا الله تعالى، مع أن نظرة واحدة بعبرة للميت محمولاً تقبل بالعبء على التوبة.

هذا، ومن شر المعاصى ارتكاب المشيع ما يغضب الله تعالى من النظر في النساء، أو الحسد والغيبة والنميمة، أو لطم الوجوه وشق الجيوب، والدعاء بالويل والثبور، أو النطق

بكلام الجاهلية.

والأولى للمُشيّع أن يتذكر اليوم الذى يكون فيه محمولاً إلى المرقد الأخير فيتوب إلى الله ويرجع إلى العمل لنيل الخير بعد الموت. والأولى بالإسراع بالجنائزة، فإن كانت محسنة أنست بها أعده الله لها، وإن كانت سيئة استراحوا منها.

عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (أسرعوا بالجنائزة فإن تك سالحة فخير تقدمونها عليه، وإن تك سوى ذلك فشر تضعونه عن رقابكم) أخرجه الستة.

صلاة الجنائزة

إذا مات المسلم تجرد من الحول والقوة ونسبة الوجود له، وفارق كون الفساد راجعاً إلى ربه سبحانه، فأبدل الله سيئاته بحسنات أمام الخلق فأحبه الخلق أجمعون، ورفعوه على أعناقهم وجعلوه كعبة يصلون عليه، وكذلك العبد إذا تحقق بالتوحيد ألقى الله عليه محبة منه، وعظمة في أعين الخلق، فرفعوه على رؤوسهم وبذلوا له النفس والنفائس تقرباً إلى الله تعالى، وجعلوه كعبة لقلوبهم اقتداء به؛ لأنه مات مودة الإرادة بالفناء عن مقتضى بشريته، ولا ينكر على المسارعين إليه إلا من حرمه الله من نور البصيرة، قال ﷺ: (موتوا قبل أن تموتوا) وقال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ مريم ٦٩.

كيفية الصلاة على الجنائزة

صلاة الجنائزة أربع تكبيرات تدعو فيها بين كل تكبيرتين بالدعاء المأثور، وجائز أن تدعو فيها بما يناسب المقام، ويختار للإمامة فيها من يرضاه أولياء الميت. وقد كبر رجل من الصحابة خمس تكبيرات، وأخبر أن رسول الله ﷺ كبر خمساً.

والأولى صلاة الجنائزة خارج المسجد، وجازت في المسجد إذا تحققت طهارة الميت وحفظ المسجد مما يخرج منه من النجاسات، فقد صلى رسول الله ﷺ في المسجد، ونهى عن الصلاة على الجنائزة في المسجد، والجمع بين الفعل والنهي أن الذى صلى عليه في المسجد لم

يخش منه نجاسة المسجد، والنهي كان لخشية نجاسة المسجد مما يخرج من الميت.

ولنيل كل الأجر يخرج المشيع مع الجنازة من بيتها فيصل على الإمام واقفاً جهة وسط الرجل وجهة منكبي المرأة (المنكبان الكتفان)، ويتبعها حتى يقف على القبر عند دفنها ويدعو ويستغفر للميت، بذلك ينال قيراطين من الأجر، والله ذو الفضل العظيم.

الدعاء الوارد في صلاة الجنازة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا صليتم على الميت فأخلصوا له الدعاء) أخرجه أبو داود، وعنه رضي الله عنه وسئل كيف نصل على الجنازة؟ قال: (اتبعها من بيت أهلها، فإذا وضعت كبرت وحمدت الله تعالى، وصليت على نبيه ﷺ ثم أقول: اللهم إنه عبدك وابن عبدك وابن أمتك، كان يشهد أن لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك، وأنت أعلم به، اللهم إن كان محسناً فزد في إحسانه، وإن كان مسيئاً فتجاوز عن سيئاته، اللهم لا تحرمنا أجره ولا تفتنا بعده) أخرجه مالك.

وعن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: (صلى النبي عليه الصلاة والسلام على جنازة فحفظنا من دعائه: اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه، وأكرم نزله، ووسع مدخله، واغسله بالماء والثلج والبرد، ونقه من الخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس، وأبدله داراً خيراً من داره، وأهلاً خيراً من أهله، وزوجاً خيراً من زوجته، وأدخله الجنة، وأعذه من عذاب القبر، ومن عذاب النار) قال عوف رضي الله عنه حتى تمنيت أن أكون أنا ذلك الميت. أخرجه مسلم واللفظ له والترمذي والنسائي.

وعن الحسن أنه قال: (نقرأ على الطفل فاتحة الكتاب ونقول: اللهم أجعله لنا سلفاً وفرطاً وذخراً وأجراً) أخرجه البخاري. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: (الطفل لا يصل على عليه ولا يرث ولا يورث حتى يستهل) أخرجه الترمذي.

وعن نافع قال: (كان ابن عمر رضی الله عنهما يصل على الجنازة بعد الصبح وبعد العصر إذا صليتا لوقيتيهما) أخرجه مالك، عن ابن عباس رضی الله عنهما قال: سمعت رسول الله

ﷺ يقول: (ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفّعهم الله تعالى فيه) أخرجه مسلم وأبو داود.

الدفن وهيئته

السنة الإسراع بالميت إلى لحدّه، وأن يُدفن نهراً بعد أن يغسل ويكفن ويصلى عليه، إلا ضرورة تدعو إلى دفنه ليلاً، والسنة أن يدفع الشهيد بدمه وثيابه، والسنة أن يدفن في لحد لا في شق، وهيئة الدفن معلومة، ومن السنة أن يستغفر للميت بعد دفنه مباشرة، ويسألون الله له العفو.

الوارد في تعجيل الدفن وهيئته ودعائه

عن الحصين بن وحوح قال: (لما مرض طلحة بن البراء أتاه رسول الله ﷺ يعودُه فقال: إني لا أراه إلا قد حدث به حادث الموت فأذنوني به وعجلوا، فإنه لا ينبغي لجيفة مسلم أن تحبس بين ظهراني أهله) أخرجه أبو داود.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (خطب رسول الله ﷺ يوماً فزجر أن يُقبر الرجل بالليل حتى يصلى عليه إلا أن يضطر إنسان إلى ذلك، وقال: (إذا كفن أحدكم أخاه فليحسن كفته) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن ابن عباس رضی الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (اللحد لنا والشق لغيرنا) أخرجه أصحاب السنن.

وعن عثمان رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ إذا فرغ من دفن الميت وقف على قبره وقال: استغفروا لأخيكم واسألوا له التثبيت فإنه الآن يسأل) أخرجه أبو داود.

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يقول إذا فرغ من دفن الميت: (اللهم هذا عبدك نزل بك، وأنت خير منزل به، فاغفر له ووسع مدخله) وأخرجه رزين.

التماثيل وتخصيص القبور

يجهل الناس حكمة الشريعة في النهى عن التماثيل وتخصيص القبور، ولو علموا الحكمة لما وسعهم إلا إخفاء القبور، وقد وصى عمر بن عبد العزيز أن يحفر له في الأرض ثم يدفن ويردم عليه ويزرع فوقه، حتى لا يجعل المسلمون قبورهم مساجد كما فعل النصارى.

وقد نهى رسول الله ﷺ عن التماثيل وتخصيص القبور، وهذا لا يمنع أن نضع حجراً عند رأس الميت ليعرف قبره.

وقد فعل رسول الله ﷺ ذلك فوضع حجراً عند رأس عثمان بن مظعون على قبره، وإنما النهى عن تخصيص القبور ووضع التماثيل في البيوت أو عند القبور، لأن ذلك من عمل الجاهلية ومن الرياء والكبر. وجمال القبر أن يكون روضة من رياض الجنة، وأن تُجرى على ساكنه خيرات الصدقات والدعوات من أهله. ونهى ﷺ عن البناء على القبر وعن الوقوف عليه والجلوس عليه وعن وجود النار عنده والكتابة عليه.

الوارد في النهى عن التماثيل والتخصيص

عن أبى الهياج الأسدى قال: قال لى على رضي الله عنه: (ألا أبعثك على ما بعثنى عليه رسول الله ﷺ قال: اذهب فلا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته) أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى.

عن المطلب بن أبى وداعة قال: (لما مات عثمان بن مظعون وهو أول من مات بالمدينة من المهاجرين فلما دفن أمر رسول الله ﷺ رجلاً أن يأتيه بحجر فيعلم قبره به، فأخذ حجراً ضعف عن حمله، فقام رسول الله ﷺ فحسر عن ذراعيه، ثم حمله فوضعه عند رأسه وقال: أعلم به قبر أخى، فأدفن عنده من مات من أهله) أخرجه أبو داود.

وعن جابر رضي الله عنه قال: (نهى رسول الله ﷺ أن يجصص القبر وأن يبنى عليه وأن يقعد عليه وأن يكتب عليه وأن يوطأ) أخرجه الخمسة إلا البخارى.

زيارة القبور

معلوم أن رسول الله ﷺ نهى عن أشياء ثم أباحها، وقد شدد رسول الله ﷺ في النهي عن زيارة النساء القبور، ويظهر أن هذا النهي خاص وعام.

أما عمومها فلأن المرأة ناقص عقلها سريع تأثرها، فنهى عن زيارتها القبور مع الجنائز لما تفعل من المنكرات عند رؤية الجنائز أو عند رؤية القبر، وتذكرها ما كان ينالها من المدفون، وذلك ما لا يقوى على تحمله النساء.

وأما الخاص منه فلأن المرأة فتنة، والمجتمعون للجنائز منهم البار وغيره، وكذلك الموجودون عند القبور، فنهى رسول الله ﷺ عن زيارة المرأة للقبور سداً لأبواب الفتنة.

زيارة الرجال

وثبت أن رسول الله ﷺ نهى الرجال عن زيارة القبور قبل الإسلام لما كانوا عليه من عوائد الجاهلية عند القبور، فلما محو نور الإيثار ظلمة العادة وهشت له القلوب وبشت، أباح رسول الله ﷺ زيارة القبور للرجال، قال عليه الصلاة والسلام: (كنت نهيتكم عن زيارة القبور إلا فزوروها فأنها تذكركم الآخرة) أخرجه الحمسة إلا البخارى.

فبين ﷺ حكمة الزيارة للزائرين، ولم يبيح زيارة القبور للفخر والخيلاء والرياء، ووضع المطابخ والمخابز جارها، ولعلك تفقه من قوله: (تذكركم الآخرة) ما يجعل قلبك يتمثل ذلك اليوم وما قبله، فيسارع بك إلى محاب الله ومراضيه. وإنى أرى ما يعمله الناس عند القبور الآن مما ينسى الآخرة. أسأل الله أن يجدد السنة، ويمنحنا حسن اتباع رسول الله ﷺ لننال محبة الله لنا.

الأحوط منع النساء من تشييع الجنائز

يظهر أن نهى النساء عن زيارة القبور لم ينسخ بقوله ﷺ: (نهيتكم عن زيارة القبور) والأحوط أن يمنع النساء عن تشييع الجنائز وزيارة المقابر منعاً باتاً رحمة بالموتى، وخصوصاً

يمنعن عن زيارة الأضرحة المباركة، فإن التصريح لهن مخالفة للسنة، ومؤد إلى الفتنة، وموجب لاشتغال النساء بالخروج من بيوتهن والله تعالى يقول: ﴿وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ النور ٣١.

وإنا نرى المرأة الآن تبتدى عورتها فضلاً عن زينتها، فإن الزينة الخاتم والحناء والكحل والمرأة الآن تظهر مرفقيها ونحرها وساقها، وتحدد ثدييها ووسطها وجزعها بالملابس. أعاذنا الله من البدع المضلة ومنحنا الله الغيرة للعرض إنه مجيب الدعاء.

الجلوس على القبور

الأولى عدم الجلوس على القبور إلا لضرورة من وجود ماء أو خوف حيوان مؤذ، وقد حرم رسول الله ﷺ البول والتغوط على القبر، ولم يسمع عنه ﷺ أنه جلس على قبر.

وقد ورد أن الإمام علياً بن أبي طالب عليه السلام كان يتوسد القبور ويضطجع عليها وله في ذلك مشهد وندوحة.

وورد عن سيدنا زيد بن ثابت رضى الله عنها أن النهى عن الجلوس على القبور نهى عن الحدث عليها، ومتى تذكر الإنسان الدار الآخرة عند القبر، لا حرج عليه أن يتوسد عليه أو يضطجع عليه أو يستند إليه.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله ﷺ: (لأن يجلس أحدكم على جمرة فتحرق ثيابه فتخلص إلى جلده خير له من أن يجلس على قبر) أخرجه مسلم وأبو داود والنسائي.

وعن علي رضي الله عنه أنه كان يتوسد القبور ويضطجع عليها. أخرجه مالك.

وعن عثمان بن حكيم قال: أخذ خارجة بن زيد بيدي فأجلسني على قبر وأخبرني عن عمه زيد بن ثابت أنه كان إنما كره ذلك لمن أحدث عليها. أخرجه البخاري.

ما يقوله الزائر عند زيارة القبر

عن ابن عباس رضى الله عنهما قال: مر رسول الله ﷺ بقبور أهل المدينة فأقبل عليهم بوجهه فقال: (السلام عليكم يا أهل القبور ويغفر الله لنا ولكم، أنتم لنا سلف ونحن بالأثر) أخرجه الترمذى.

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: خرج رسول الله ﷺ إلى المقبرة فقال: (السلام عليكم دار قوم مؤمنين وإنا إن شاء الله بكم لاحقون) أخرجه أبو داود.

التعزية

التعزية هى أن يقوم الإنسان للمصاب أو المصابة بما يجعله يصبر أو تصبر على المصيبة، وهو فضيلة من الفضائل، ولا يخلو إنسان من المصائب، والنفوس تتأثر بما يصيب غيرها وتتألم بالآلامه.

والتعزية سنة وهى أنواع كثيرة فقد تكون بالمال للفقراء، وبالطعام للجيران الذين شغلته المصيبة، وبالموعظة وغيرها من الكتابة والزيارة والقيام للمصاب بما لا بد له منه، وأجرها عند الله عظيم جداً.

عن ابن مسعود رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من عزى مصاباً فله مثل أجره) أخرجه الترمذى.

عن أبى برزة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (من عزى ثكلى كسى برداً فى الجنة) أخرجه الترمذى.

وعن عبد الله بن جعفر بن أبى طالب قال: لما جاء نعى بن جعفر قال رسول الله ﷺ: (اصنعوا لآل جعفر طعاماً فإنه قد جاءهم ما يشغلهم) أخرجه أبو داود والترمذى.



القبر وسؤاله

بينت لك أنواع الحياة في المقدمة وكل ما يتعلق بالقبر من النعيم أو العذاب، ملاحظاً فيه الحياة البرزخية، ومن لاحظ الحياة في بطن الأم والحياة في الكون يُسَلِّم بالحياة البرزخية، وكلنا نعلم أن الروح لا تموت بموت الجسد، وأن لها اتصال بالجسم كاتصال الشمس في البئر، وقد ورد أن الميت يُسأل في قبره عن ربه ونبيه، وأهل الإيمان لا يترددون في أن الله ربهم وسيدنا محمداً ﷺ نبيهم، إلا من مات على نفاق.

فالمؤمن من تطيب له حياة الروح، والمنافق تُسجن روحه في سجن، وهذا هو عذاب القبر.

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: (إذا مات أحدكم عُرض عليه مقعده بالغداة والعشى، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة). أخرجه الستة إلا أبا داود.

وعن هانى مولى عثمان بن عفان قال: كان عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إذا وقف على قبر بكى حتى يبيل لحيته، فقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكى، وتذكر القبر فتبكى؟! قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: (القبر أول منزل من منازل الآخرة، فإن نجا منه فما بعده أيسر، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه) أخرجه الترمذى.

عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: إن العبد إذا وضع في قبره وتولى عنه أصحابه إنه ليسمع قرع نعالهم، فإذا انصرفوا أتاه ملكان. فيُتعدانه فيقولان له: ما كنت تقول في هذا الرجل محمد؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فقالا له: انظر إلى مقعدك من النار أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، ويفتح الله له من قبره إليه.

وأما الكافر والمنافق فيقول: لا أدري، كنت أقول كما تقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ثم يضرب بمطرقة من حديد ضربة بين أذنيه فيصيح صيحة فيسمعها من يليه إلا الثقلين) أخرجه الخمسة إلا الترمذى.

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: (يتبع الميت ثلاثة أهله وماله وعمله، فيرجع اثنان ويبقى واحد، يرجع أهله وماله ويبقى عمله) أخرجه الشيخان والترمذي.



خاتمة

هذا ما شرح الله صدرى لبيانه، وإنى أسأل الله العفو الغفور التواب الكريم، أن يجعلنى ممن سبقت لهم منه الحسنى سبحانه، وأن يغفر لى ذنوبى، وأن يتفضل علىّ وعلى أهلى وإخوانى بالعلم النافع والعمل الرافع لحضرتة والقلب الخاشع لعظمتة، وأن يُغنيننا به سبحانه عن شرار خلقه، ويحفظنا من الأمراض ومن شر الأشرار، ويدفع عنا كيد الظالمين والحاسدين، ويسخر لنا كل شئ هو فى ملكه وملكوته إنه مجيب الدعاء وصلى الله على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وآله وورثته والتابعين.

خديم الفقراء
محمد ماضى أبو العزائم



الفهرس

| | | |
|----|-------|--|
| ٥ | | مقدمة |
| ٧ | | تقريب للعقول |
| ٨ | | وجوب اعتقاد الإعادة |
| ٩ | | البعث بالروح والجسد |
| ١١ | | بيان لمنكرى إعادة الأشباح |
| ١٣ | | إعادة الأشباح والأرواح حق ثابت |
| ١٣ | | كيفية البعث |
| ١٤ | | الإعادة ليوم الجزاء |
| ١٥ | | كيفية تلك النشأة بما ورد في القرآن والأحاديث |
| ١٦ | | أدلة كيفية البعث من النقل |
| ١٨ | | أقسام الناس يوم القيامة |
| ٢٠ | | الفتن قبل القيامة |
| ٢١ | | ظهور الدجالين والكذابين |
| ٢١ | | طلوع الشمس من مغربها |
| ٢٢ | | خصال أنزلت البلاء في الأمة |
| ٢٢ | | إطاعة الزوجات وخروج المرأة |
| ٢٣ | | إنتشار العهارة |
| ٢٤ | | المقصود برفع الصوت في المسجد |
| ٢٤ | | أجرأ الناس على معصية الله زعيمهم |
| ٢٥ | | المجهر بشرب الخمر |

| | |
|----|--|
| ٢٦ | لبس الحرير |
| ٢٦ | القينات |
| ٢٦ | المعازف |
| ٢٧ | التكفير بين المسلمين |
| ٢٨ | الأبناء يهدمون مجد الآباء |
| ٢٨ | علماء الدنيا يكتمون الحق |
| ٢٩ | رجوع إلى بيان كيفية البعث بالوارد |
| ٣١ | النفخ ثلاث مرات |
| ٣٣ | المنظور بقدر المقامات |
| ٣٤ | دلائل البعث من أحاديث رسول الله ﷺ وكلام أئمة الهدى |
| ٣٦ | قبس من السر المصون..... |
| ٣٦ | الإسلام دين الفطرة والكرامة |
| ٤٠ | الشفاعة |
| ٤١ | الشفاعة في الأحاديث |
| ٤١ | أحاديث الشفاعة |
| ٤٢ | رشفة من طهور العرفان |
| ٤٢ | فضل الله ورحمته على العالمين |
| ٤٣ | دليل ذلك في القرآن |
| ٤٤ | الشفاعة ليست منازعة لله تعالى في الألوهية |
| ٤٤ | الدليل على شفاعة المؤمنين لإخوانهم |
| ٤٥ | رشفة من طهور الأرواح |
| ٤٧ | رؤية الله تعالى |

| | |
|----|---|
| ٤٨ | دليل رؤية الله تعالى من الكتاب |
| ٥٠ | المسلم يحفظ رتبته |
| ٥١ | قبس من المضمون |
| ٥١ | الإسلام دين الفطرة والكرامة |
| ٥٣ | دواء هذا المرض العضال |
| ٥٣ | التصديق بيوم القيامة |
| ٥٦ | دلائل رؤية الله تعالى من الأحاديث |
| ٥٧ | وسيلة النجاة يوم القيامة |
| ٥٨ | الوسائل |
| ٥٨ | الوسيلة الأولى |
| ٥٩ | الوسيلة الثانية والرابعة |
| ٥٩ | الوسيلة الثالثة |
| ٦٠ | معرفة الله متوقفة على معرفة النفس |
| ٦٠ | بيان أول |
| ٦١ | بيان ثان |
| ٦١ | بيان ثالث |
| ٦١ | أتكلم مع العقل بالحقائق لا بالمثال |
| ٦٣ | خاتمة الحسنی |
| ٦٤ | أول واجب على الحاضرين لمن في النزاع |
| ٦٤ | آداب المجالسين حول الميت عند مفارقة الروح |
| ٦٤ | حسن الخاتمة |
| ٦٥ | حالة المؤمن عند الموت |

| | | |
|----|-------|--------------------------------------|
| ٦٦ | | سوء الخاتمة أعاذنا الله منها جميعاً |
| ٦٧ | | جواز البكاء عند الموت وبعده |
| ٦٨ | | دليل ما قررناه |
| ٦٩ | | النهي عن البكاء على الميت |
| ٦٩ | | حجة النهي عن البكاء |
| ٧١ | | الغسل والكفن |
| ٧١ | | الغسل |
| ٧١ | | الكفن |
| ٧٢ | | تشيع الجنازة |
| ٧٣ | | صلاة الجنازة |
| ٧٣ | | كيفية الصلاة على الجنازة |
| ٧٤ | | الدعاء الوارد في صلاة الجنازة |
| ٧٥ | | الدفن وهيئته |
| ٧٥ | | الوارد في تعجيل الدفن وهيئته ودعائه |
| ٧٦ | | التماثيل وتخصيص القبور |
| ٧٦ | | الوارد في النهي عن التماثيل والتخصيص |
| ٧٧ | | زيارة القبور |
| ٧٧ | | زيارة الرجال |
| ٧٧ | | الأحوط منع النساء من تشيع الجنازة |
| ٧٨ | | الجلوس على القبور |
| ٧٩ | | ما يقوله الزائر عند زيارة القبر |
| ٧٩ | | التعزية |

| | | |
|----|-------|--------------|
| ٨٠ | | القبر وسؤاله |
| ٨١ | | خاتمة |
| ٨٢ | | الفهرس |

